حوار الحضارات
بين الواقع والطموح

The Dialogue of Civilizations
Reality and Ambition

رجاء حسين



الدار السعودية للنشر والتوزيع

أسست في جدة - المملكة العربية السعودية - غرة ربيع الثاني ١٢٨٦ هـ

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

ح رجاء شوعي محمد حسين ،١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حسين، رجاء شوعي محمد

حوار الحضارات بين الواقع والطموح / رجاء شوعي محمد حسين

- الدمام، ١٤٢٧ هـ

١٩٦ ص : ٢٠ X ١٤ سم

ردمك: ٧ - ١٥٥ - ٢٦ - ٩٩٦٠

١ - الحضارة - تاريخ ٢ - الحضارة الإسلامية ٣ - الإسلام - تاريخ

أ - العنوان

ديوي ٩٠١،٩ رقم الإيداع: ١٤٢٨/٤٥٧

موقعنا الإنترنت : Website: www.spdh-sa.com

البريد الإلكتروني : E-mail: info@spdh-sa.com

المملكة العربية السعودية

المركز الرئيسي : جدة

الإدارة والمستودعات

ت: ٦٢٩٤٠٣٩ - ٦٢٩٣٩٨٨ - ٦٢٩٤٢٧٨

فاكس: ٦٢٩٤٢٩٠

ص ب ٢٠٤٣ - جدة ٢١٤٥١

فرع الدمام: ص ب ٨٩٩ الدمام ٣١٤٢١

ت: ٨٣٤٧٧٦٩ - فاكس: ٨٣٣٥٥٢٠

قسم الجملة: هاتف: ٨٣٤٨٣٨٢

المكتبة: ش الملك سعود

ت: ٨٣٣٣٥١٥ - ٨٣٠٢١٩٢

فرع الرياض: ص ب ٢٩٥٠٦٢ الرياض ١١٣٥١

ت: ٤٦٥١٩٤٦ - ٤٦٥١٤٦٤

جمهورية مصر العربية

دار القارئ العربي

١٤ شارع عبدالله دراز - ارض الجولف

مصر الجديدة - القاهرة

هاتف: ٢٩٠٦٧١٥ فاكس: ٢٩٠٦٧١٧

UNITED KINGDOM

Makkah Advertising int,l

Crown House, Crown Lane

East Burnham, Bucks SL2 3SQ

United kindgom

Tel.: (01753) 648701

Fax: (01753) 648707

USA

New Era publications

P.o. Box 130109, Ann Arbor

MI 48113 - 0109

إهــداء

إلى أبنائي

عمار، وعمرو، وعلاء

مع تمنياتي لكم بالتقدم في
حياتكم العلمية والعملية

كلمـة الكاتبـة

عندما قررت طباعة هذا الكتاب المتواضع كان هدفي في المرتبة الأولى شد انتباه القارئ لمناقشة قضايا حضارتنا الإسلامية في الوقت الحاضر فقد أمضى العالم الإسلامي عدة قرون وهو يعاني مشكلات داخلية وخارجية، ويعيش في صمت رتيب حتى كاد يكتب على حياته وحضارته الفناء. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م كزلزال رهيب دمر مبنى التجارة العالمي كما دمر حاجز الصمت الذي عانته الحضارة الإسلامية معاناة شديدة، سواء كانت قد جاءت مصادر الإهمال من تكالب أعدائها عليها أو من إهمال أبناءها لها، فارتفعت أصوات المفكرين والعلماء المسلمين، وانبرت أقلامهم للدفاع عن الإسلام لماذا؟ لأن المسلمين كانوا معنيين بتلك الأحداث بل إنها تمسهم من حيث كانوا لا يدرون.

لقد أيقظت تلك الأحداث المسلمين من سباتهم ونبهتهم للخطر المحدق بهم، وأعلمتهم مقدار الخطر الذي سيواجهونه في مستقبلهم. ولأننا في زمن المعلومات وسرعة الاتصال، وصلت الأنباء إلى كل أرجاء الدنيا وأصبح العالم بأسره يتحدث عن الإرهاب والإسلام وضرورة القضاء عليهما، وذلك لارتباطهما الشديد في أذهان أبناء الحضارة الغربية التي طالما حملت حقداً دفيناً على الإسلام وأهله حتى أن الغرب هدد بقيام حرب صليبية جديدة، لذلك جدت أقلام المفكرين المسلمين في البحث عن الحلول لصد خطر ذلك الصدام.

رجـــاء حســـين

المقدمــة

الحــمد لله والصــلاة والســلام على رســول الله مـحمـد ﷺ وبعد..

إن موضوع الكتاب يتناول حوار الحضارات بين الواقع والطموح، حيث إن حضارتنا الإسلامية تواجه أزمة خطيرة ممثلة في الهجمة العنيفة الشرسة التي تشنهـا وسائل الإعلام الغربي وسيـاساته وقادته ممثلين عن الحـضارة الغـربية المعـاصرة، وذلـك من أجل القضـاء على الحضـارة الإسلامية كدين وعقيدة ونظام حياة.

لذلك كان لاختيار موضـوع الكتاب «حوار الحضارات بين الواقع والطموح» أهداف منها:

أولا: إن موضـوع «حوار الحـضارات» مـوضوع له أصالـته في الحضارة الإسلامـية، فهو ليس وليد الأفكار الغربيـة بقدر ما هو منهج رباني أصيـل ذو توجيهـات في القرآن الكريم والسنة النـبوية وهو إرث إسلامي قدمه المسلمون للغرب منذ قيام حركة الترجمة في القرن الحادي عشـر، كما أن الحـوار يعتـمد على الجدل الذي هو مـادة أساسـية في الفلسفة الإسلاميـة، وإن كانت الفلسفة من صنع اليونان إلا أن الآيات القرآنيـة التي تضمنت الجدل، كـانت لها أهداف تربوية سامـية، لذلك

تأثر الغرب بالحوار الإسلامي منذ القدم، فكان ذلك مما يدل على عمق حضارتنا الإسلامية.

ثانياً: بيان أن نظريات « الصراع الحضاري» وليدة الأفكار الغربية التي لا ترى خير البشرية إلا في دخول صراع مع الحضارات الأخرى، كما ترى القوة المقياس الحقيقي لتقدم الأمم والشعوب، فوجب علينا توضيح ذلك.

ثالثاً: إن «حوار الحضارات» الإسلامي لم يكن وليد أحداث العصر الحديث وإنما كان له ماضٍ منذ فجر الإسلام، وللمسلمين إسهامات في تطويره، لذلك هناك ضرورة لبيان الحوار الحضاري من منظور إسلامي.

رابعاً: دحض الرؤية الغربية لمفهوم صراع الحضارات ببيان الدوافع الغربية من وراء الهجوم الذي تشنه الأقلام الغربية على الإسلام والمسلمين.

خامساً: توضيح صورة الحضارة الغربية والأزمة التي تمر بها ببيان نقاط القوة والضعف التي تثبت عدم صلاحيتها لقيادة الأمة الإنسانية وتحقيق طموحات شعوبها.

سادساً: توضيح العقبات والمعوقات التي تقف في سبيل لقاء حضاري يجمع الحضارة الإسلامية الغربية.

سابعاً: الإجابة عن سؤال: كيف ينجح الحوار؟ ببيان الشروط الواجب توافرها في الحوار الحضاري. إضافة إلى ذكر السبل الواجب تذليلها للقاء حضاري يجمع الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية.

لذلك كانت هناك بعض الصعوبات التي واجهت الكاتبة والتي منها:

١- أن موضوع «حوار الحضارات بين الواقع والطموح» موضوع جدير بالدراسة العلمية المتأنية العميقة، لأنه من الموضوعات الساخنة ولأن الصراع بين الخير والشر دائم ومستمر، لذلك من واجبنا دائماً كمسلمين معرفة الأسباب التي تعيق أمتنا الإسلامية في تقدمها وتطورها، لهذا كان من المهم التوجه للدراسات التي تفيد الأمة، وذلك ببذل الجهود المستمرة للكشف عن أعداء الدين ووسائلهم الخبيثة، والعمل على تقدم الأمة الإسلامية ورقيها وتعاونها.

٢- أن موضوع حوار الحضارات بين الواقع والطموح ما زال قيد الدرس والبحث والمداولات، لذلك قد يحتوي على متناقضات تخل بمجريات الأحداث.

٣- قلة الوقت قد تكون من الأمور التي لم تسعف الكاتبة على التوسع والتأني أثناء المطالعة والبحث الدقيق.

وقد تمت الكتابة وفق خطة نذكر منها:

١- إقتباس من القرآن الكريم الآيات الدالة على اشتقاقات معنى الحوار.

٢- تناول بعض المصادر التاريخية الإسلامية خاصة فيما يتناول المؤثرات الإسلامية الحضارية على الحضارة الغربية.

٣- الاعتماد على المراجع والدوريات العربية التي تناولت موضوعات الحوار بين الحضارات.

٤- استخدام وسيلة جمع المعلومات من الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) فيما يتعلق بجوانب الموضوع. حيث لا غنى للباحث عمّا هو جديد في دنيا المعلومات.

ولذلك جاء الموضوع متمثلاً في تمهيد وفصلين وخاتمة.

أمّا التمهيد: فقد جاء ليتناول اللقاء الحضاري بين الأوروبيين والحضارة الإسلامية: **الفصل الأول** (التفسير التاريخي للحوار الحضاري) ويحتوي على :

١- تعريف الحوار الحضاري لغة واصطلاحاً.

٢- اشتقاقات معاني الحوار من القرآن الكريم.

٣- الحوار من منظور إسلامي.

٤- تعدد الحضارات.

٥- مكانة الحضارة الإسلامية بين الحضارات.

٦- عناصر بناء الحضارة الإسلامية.

٧- مميزات الدين الإسلامي.

الفصل الثاني: (الحضارات صراع أم حوار)

ويحتوي على:

١- الحوار - الصراع الحضاري من منظور غربي.

٢- دوافع الغرب من الصراع الحضاري.

٣- تفسير الرؤية الإسلامية لدوافع الغرب من الصراع.

٤- أزمة الحضارة الغربية المعاصرة.

٥- العوائق التي تواجه الحوار الحضاري.

٦- شروط نجاح الحوار الحضاري.

وفي الخاتمة تم تلخيص النتائج التي تم التوصل إليها.

تمهيـــد

تنوعت اللقـاءات التي كانت تحـدث بين المسلمين والمسـيحـيين، وذلك منذ عـهـد مبكر، حـيث كـان أول هذه اللقـاءات لقاء الغـرب الأوروبي بالشرق المسلم عن طريق الترجـمة التي تعد من أهم الوسائل في تقارب الثقافات وتبـادل الأفكار والمؤثرات الحضارية وبالتالي تساهم في تقدم الأمم.

وللحضـارة الإسلامية فـضل في إثراء تلك اللقاءات، وذلك بما حوته تعاليمها من توجيهات سـامية نحو التعارف والتقارب والحوار مع الطرف الآخر.

فحركة الترجمة التي قـام بها المسلمون في بداية الأمر لم تقتصر على النقل من السابقين، وإنما بشـرح تلك المنقولات خاصـة ما صعب فهمه منهـا. إضافة إلى تصحيح ما وقعـوا فيه من أخطاء، حتى وصل بالمسلمين الأمر إلى الابتكار والإبداع في ظل المنظور الإسلامي للعلم.

ولقد كان لتلك الترجمة أثرها على الحضارة الأوروبية الغربية، فمن خلالهـا تم تزويد الفكر الأوروبي في القـرن الحادي عشـر والثاني عـشر والثالث عشر. بتلك الطفرة العلمية التي بلغت قمتها في تلك العهود(١).

---

(١) عندما أشرقت العـصور الوسطى على الانتهاء سـادت فكرة تقول «لا يجوز الاعتقاد في شيء قـبل فهمه» "Nothing to believed unless it is be under stood" http:/homebirzeil.edu.phil.cslpllplicitions,batring. htm.

والتي بهرت الغرب الغارق في غياهيب الجهالة. ينظر برهبة للكون والوجود، ويتساءل ويتحير عندما لا يجد لتساؤلاته إجابة.

إلا أنه عندما بدأت القوة الإسلامية وحضارتها تحتضر في إسبانيا العربية كان لابد أن تجد تلك الجهود العلمية العظيمة من يقطف ثمارها، فبدأت عقول الغرب تدرك قيمة تلك الجهود العلمية. خاصة أن أوروبا شهدت على أيدي مترجميها في القرن الثاني عشر نهضة فكرية استمرت حتى القرن الخامس عشر، حيث قامت حركة علمية لم تقتصر على نقل المؤلفات العربية والإسلامية، وإنما حد التأثر بكل ما تحويه من ركائز حضارية سواء على الصعيد المادي أو المعنوي.

وكانت المراكز الإسلامية قد ساهمت بدورها في إثراء اللقاء الإسلامي المسيحي. فالأندلس وصقلية مركزان رئيسيان اتجهت إليهما أعلام النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر يطلبون الارتواء من فيض الحضارة الإسلامية في مختلف العلوم والآداب[1].

وفي الأندلس كانت مدينة طليطلة رائدة الحركة العلمية، وذلك يعود إلى ما حوته مكتبات طليطلة من مراجع عربية عديدة عكف المترجمون على نقلها إلى اللاتينية.

أما في النصف الثاني من القرن الثاني عشر فقد شهدت طليطلة

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط٢، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٢م)، ص٦٤.

أعداداً هائلة من طلبة العلم الأوروبين يترجمون في مختلف العلوم: الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، وغيرها من العلوم الهامة.

وقد كان لتسامح المسلمين مع هؤلاء المترجمين وطلبة العلم دوراً كبير في نمو الحضارة وازدهرها، قال جروينباوم: «إن الحضارة الإسلامية نمت بفضل تسامحها إزاء العناصر الأجنبية»[1].

ولم تكن الترجمة السبيل الوحيد للقاء الإسلامي المسيحي، وإنما كان للحروب الصليبية دورها، وإن كان في جانبين جانباً سلبياً عمل على زيادة الحقد الصليبي الغربي ضد الإسلام والمسلمين - والذي ما زال موجوداً إلى الآن وله دوره في زيادة التوترات بين الطرفين - وجانب إيجابي التمس فيه الغرب قيم الإسلام ومبادئه الحضارية الراقية.

فلو تناولنا الجانب الفكري كمؤثر هام على حضارة الغرب لوجدنا أن الإسلام قرر حرية الفكر والتفكير، وحض الناس على التأمل في الكون والوجود من حولنا. بل قامت الدعوة الإسلامية على إذكاء العقل وحث الناس على استعماله في حياتهم حتى يصلوا إلى الصالح لهم في حياتهم، وذلك يعود عليهم بفوائد عديدة منها: استجلاء الحقائق والنظر فيما وراء الأشياء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[2].

---

(١) عاشور، المدنية، ص٦٦. نقلاً عن جروينباوم، حضارة الإسلام، ص ٤٣٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

ويرتبط التفكير بالنقد حيث إن المسلم غلبت عليه صفة الناقد، فلا تنطلي عليه الأفكار ولا الإرهاصات الخادعة، فهو يضعها تحت مكبر العقل المرتبط بالنقد حيث الأسباب والمسببات لأجل أن يعبد الله على بصيرة ،ويستطيع أن يواجه المعتقدات الباطلة فيبين صحيحها من سقيمها.

كما أنَّ الفكر في الإنسان هو حياته، وطريقه إلى معرفة ربه، قال عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(١).

وانطلاقاً من هذه القاعدة الربانية التي أمر الله بها أن تكون نبراس حياتنا في التعرف على عظيم جلاله وقدرته في تدبير شؤون خلقه، وإنشاء كونه، نما الفكر الإسلامي نمواً زاهراً، ونبغ نبوغاً ظاهراً، فقدمت الفلسفة الإسلامية أروع مثال للتقدم الفكري الإسلامي نحو العقلانية متمثلاً في عدد كبير من فلاسفة المسلمين أمثال: الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم مما لا يحصى عدده من العلماء الذين نبغوا في هذا المجال.

إلاّ أن الأثر الذي تركه ابن رشد في الغرب كان قوياً، وذلك يعود لعدة أسباب منها ما سجله التاريخ من صراع بين المسيحيين ممثلاً في الكنيسة وقساوستها، ورجال العلم والمفكرين الغربيين. فالكثير من رجال العلم والفكر قضوا نحبهم إما حرقاً أو شنقاً أو زج بهم في

---

(١) سورة الملك، الآية : ١٠.

أعماق السجون.

إضافة إلى محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة لمقاومة العلم والفلسفة في جنوب فرنسا وإيطاليا حيث المدارس والجامعات تدرس العلوم الإسلامية. فقد قامت تلك المحاكم باستخدام كل الوسائل اللاإنسانية لإضطهاد كل صاحب رأي أو فكر، فحكمت على عشرات الألوف إما بالشنق أو بالحرق أحياءً.

وبذلك أوقعت محاكم التفتيش الرعب والخوف في قلوب الناس الأمر الذي نتج عنه عواقب وخيمة.

وقد قدم ابن رشد للغرب خدمات فكرية جليلة لم يسبقه إليها أحد من فلاسفة عصره منها: أن فلسفة ابن رشد عرفت الغرب على فلسفة العالم أرسطو، قال روجر بيكون: «إن معظم فلسفة أرسطو ظلت عديمة الأثر في الغرب لضياع المخطوطات.. حتى ظهر ابن رشد فقام بنقلها وشرحها وعرضها على الناس عرضاً شاملاً»: ليس ذلك فحسب بل عمد إلى شرح نصوصها وتفسير الغامض منها، ذكر ذلك رينان: «القى ارسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضه، ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة ارسطو نظرة خارقة، ففسرها وشرح غامضها». أمّا المفكر البريطاني جون روبرتسون فقد أبدى إعجابه فقال: «إن ابن رشد أشهر مفكر مسلم لأنه كان أعظم المفكرين المسلمين أثراً وأبعدهم نفوذاً في الفكر الأوروبي..»(١).

---

(١) رحاب عكاوي، الفيلسوف ابن رشد، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م)، ص ١٣٠.

كما أنه صاحب مذهب التفكير الحر الذي كانت أوروبا بحاجة ماسة إليه في تلك الفترة، قال لويجي رينالدي: «من فضل العرب علينا أنهم هم الذين عرفونا بالكثير من فلاسفة اليونان، وكانت لهم الأيادي البيضاء على النهضة الفلسفية عند المسيحيين.. ولا ننسى أن ابن رشد هو مبتدع مذهب الفكر الحر..»(١).

قدم ابن رشد منهجاً لم يسبقه إليه أحد من مفكري الشرق ولا الغرب، فسجلت له سابقته في ابتكار ذلك المنهج، وهو المنهج النقدي العقلي الذي يدعو إلى إعمال العقل لمعرفة الأسباب والمسببات، وهو الأمر الذي انعكس أثره على الكنيسة الأوروبية الغربية، فأصدرت قرارات في القرن الثالث عشر تقضي بتحريم تعاليم ارسطو وشروحات ابن رشد، قام اسقف باريس بشن حملة عام ١٢٦٩م على فلسفة ابن رشد، وخصه باللعن والتكفير إلا أن ذلك لم يقف حائلاً دون أخذ الغرب بمناهج ابن رشد العقلانية. قال عنه جيوم: «إن ابن رشد ينتسب إلى أوروبا والفكر الغربي أكثر من انتسابه إلى الشرق والفكر الإسلامي»(٢) ليس ذلك إلا لأنهم رأوا فيه الجانب العقلي وليس ما يسمى بالفكر الحضاري المسلم.

نذكر أثر ابن رشد على روجر بيكون الذي استفاد من مؤلفاته

---

(١) عكاوي، الفيلسوف، ص ١٣.
(٢) عاشور، المدنية، ص٩٢.

وذكره في كتابه اللاتيني أيوس ماجوس حيث قال فيه: «إنه فيلسوف.. أضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى عنها بسواها وذكر كثيراً مما لم يكن قبله معلوماً لأحد، وأزال الغموض عن كثير من الكتب التي تناولها»[1].

أما توماس الاكوينس فقال: «إن الفضل في وصفه لكتابه شكلاً ومادة يعود إلى طريقة ابن رشد وفلسفته..»[2].

وكان ممن تعذب في سبيل ابن رشد هرمان فان ايزورريك الكاهن الهولندي الذي أحرق سنة ١٥١٢ بتهمة الهرطقة[3].

وهكذا نجد أثر الفكر الإسلامي على الغرب واضحاً جلياً أثبته مفكريهم وضمنته الوثائق والمخطوطات.

لقد استطاع الغرب بسبب تأثرهم بالفكر الإسلامي الحر أن يتحرروا من الأفكار الكنيسية اللاهوتية التي تنفي العقل وتحجر عليه، الأمر الذي حدا بهم للانطلاق نحو عالم أكثر تفكيراً وعقلانية.

ولم يقتصر الأمر على الأثر الفكري الإسلامي، وإنما كان للممارسة العملية دورها الكبير حيث التقاء المسلمين بالمسيحيين في

(١) عاشور، المدنية، ص٩٢.

(٢) عكاوي، الفيلسوف ، ص١٣٣.

(٣) كان قاضياً في محاكم التفتيش إلا أنه قرأ آراء ابن رشد واقتنع بها، فأعلن «أنَّ المسيح لم يكن ابن الله..» عكاوي، الفيلسوف، ص١٣٣.

الحروب الصليبية مكّن القيم الإسلامية أن تكون إنموذجاً حياً اقتبس منه الصليبيون الشيء الكثير.

فقد ربت العقيدة الإسلامية أصحابها، فأعطتهم صفات نفسية غامرة كريمة بلا حدود، منها: الجرأة والشجاعة، والبسالة النادرة، والسمو والترفع، والمروءة وسرعة النجدة، والتواضع والتعاون، كل تلك الصفات كونت أبطالاً فاتحين أعطوا نموذجاً مشرفاً لقوة الإنسان المسلم مادياً ومعنوياً وذلك من خلال تطبيقهم تعاليم دينهم على أرض الواقع فتأثر بهم أعدائهم خاصة لما لمسوه منهم من صدق المعاملة.

إلاّ أن أهم ما يميز هذا الأثر الأخلاقي على الغرب إداراكه مدى عناية حضارة الإسلام بالنزعة الإنسانية التي تميزت بها عن كل الحضارات السابقة، فنقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة والعنصرية إلى أجواء التسامح الديني الذي ظهر في معاملة المسلمين لأهل الذمة. يقول جولد تسيهر: «إن روح التسامح في الإسلام قديماً تلك الروح التي اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً، كان لها أصلها في القرآن»(١). الآية ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٢).

ليس ذلك فحسب بل حرص خلفاء المسلمين على الحفاظ على

---

(١) جولد تسيهر، أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: علي حسن عبدالقادر، ط٢، (مصر: دار الكتاب العربي، (د.ت)) ، ص٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

روح التسامح، وذلك لما يحويه من معنى سامٍ يحقق طموح وأمل فئة أهل الذمة الطامحة إلى التعاون والتساوي. ولقد أجمعت المراجع والوثائق الأوروبية على أن المسيحيين واليهود والزرادشتية والصائبة تمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح ليس لها نظير في البلاد المسيحية المعاصرة، ويؤيد ذلك المستشرق ديورانت بقوله: «إن سياسة (الخليفة) عمر بن العزيز كانت ترمي إلى تشجيع المسيحيين واليهود والزرادشتين»[(١)].

فقد تُرك أهل الذمة أحراراً يؤدون شعائرهم ويحتفظون بكنائسهم ومعابدهم، ويذكر المؤرخون: أن الدولة الإسلامية كان لها على عهد المأمون أحد عشر ألف كنيسة[(٢)]. لقد تُرك أهل الذمة القادرون على حمل السلاح يتمتعون بكامل حقوقهم التي أعطتهم إياها الشريعة الإسلامية مقابل جزية ضئيلة قد استعفت منها جماعات الرهبان وكبار السن من العجزة والنساء والأطفال. إضافة للعبيد وأصحاب العاهات منهم[(٣)].

كذلك نالت سياسة التسامح المجوس عباد النيران، ففي عهد

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، ج١٣، (مصر : الدار الثقافية، (د.ت))، ص٨٤.

(٢) توفيق اليوزبكي، تاريخ أهل الذمة في العراق، (الرياض: دار العلوم، ١٩٨٣م)، ص١٤٣.

(٣) عاشور، المدنية، ص٢٠٧.

المأمون يذكر ارنولد: «أن اتباع ديانة زرادشت قد تمتعوا بوجه عام بالحرية الدينية، وعومل المجوس كأهل الذمة، فكان لهم كاليهود والنصارى رئيس يمثلهم في قصر الخلافة»[1].

إذن نجد أن أهل الذمة تمتعوا بنفس الحقوق التي نالها المسلمون، ففي مقابل دفعهم للجزية التي كانت معروفة حتى قبل الإسلام قد فرض الإسلام على المسلمين الزكاة من أموالهم بل ويلزمهم فيجعلها ركناً هاماً من أركانه لا يكتمل إسلام المرء إلاّ بأدائها.

كذلك تمتع أهل الذمة بالتساوي مع المسلمين أمام القانون فلا تميز بينهم إلاّ بالحق، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2].

روى ابن كثير قصة مفادها: «أن عمر بن عبد العزيز انتصف لذمي في أرض له اغتصبها العباس بن الوليد..» وسأل الذمي عمر بن عبد العزيز كتاب الله وقد اعترف العباس بذنبه فقال عمر: «إن كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد» وقال للعباس: «قم واردد عليه ضيعته»[3].

---

(١) توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٤٧م)، ص٣٤٠ .

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، (د.ط)، ج٩، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٩٦م)، ص٢١٣ .

ليس ذلك فحسب بل بلغ نفوذ أهل الذمة في عهد الخلفاء من بني العباس مكانة مرموقة بما نالوه من نفوذ لدرجة أنهم اضطهدوا المسلمين وظلموهم: «فاجتمعت جماعة من المسلمين إلى شبيب بن شيبه، وسألوه مخاطبة المنصور أن يدفع عنهم المظالم ولا يمكّن النصارى من ظلمهم وعسفهم على ضياعهم»[1].

هذا إضافة إلى بقاء أعداد كبيرة من أهل الذمة في وظائف الدولة، ذكر الطبري: أن الهادي عزل الربيع يونس عما كان يتولاه من الوزارة وديوان الرسائل، وولى مكانه إبراهيم بن ذكوان الحراني، وكان صائبياً، كما أقر الهادي الربيع على الزمام إلى أن توفي، وولى مكانه ابن ذكوان الحراني[2].

أمّا أطباء النصارى فقد نالوا مكانة خاصة لدى الخلفاء، نذكر من هؤلاء الطبيب جبرائيل بن بختيشوع الذي قربه الرشيد حتى قال فيه: «كل من كانت له حاجة فليخاطب فيها جبرائيل..»[1] كما وكل للنصارى برعاية المستشفيات والإشراف عليها، إضافة للمدارس التي

---

(١) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن القيم، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، ج٢، (دمشق: مطبعة الجامعة، ١٩٦١م)، ص٢١٤.
(٢) أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط١٤، ج٨، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م)، ص٢٢٨.
(٣) اليوزبكي، أهل الذمة، ص١٥٣.

كانت تحت رقابتهم، نذكر: يوحنا بن ماسويه[١]، وحنين بن إسحاق اللذين قاما بكثير من أعمال الترجمة للكتب الطبية[٢].

كذلك بلغت درجة تسامح المسلمين في إسبانيا أن سمحوا للأساقفة المسيحيين بأن يعقدوا مؤتمراتهم ومجامعهم الدينية مثل مجمع إشبيليه الذي عقد سنة ٧٨٢ ومجمع قرطبة سنة ٨٥٢[٣].

إضافة إلى مشاركة أهل الذمة للمسلمين في نهضتهم العلمية، فشارك اليهود في ازدهار حركة الترجمة للعلوم العربية وترجمة النصوص اليونانية للعربية، ومنها للعبرية ثم للاتينية.

وقد ظل أثر التسامح الديني مهيمناً على إسبانيا حتى بعد خروج الحكم الإسلامي منها، حيث ظل الحكم النورماندي الأوروبي المتشبه بالحكم الإسلامي يسير على سياسة التسامح، فقد جمع ملوك النورمان

---

(١) «قلده الخليفة الرشيد أمر ترجمة الكتب الطبية التي عثر عليها في أنقرة وعمورية، وامتد به العمر إلى عهد المتوكل وكان معلماً لحنين بن إسحاق». جمال الدين أبي الحسن ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ط١، (العراق: مطبعة اليزبك، ١٣٢٠هـ)، ص٣٨.

(٢) «أعظم وجوه القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي نقل إلى السريانية ٩٥ كتابا وإلى العربية ٣٩ كتابا، كان الخليفة المأمون يعطيه وزن الكتاب ذهباً كما كان يعطيه ابن شاكر خمسمائة دينار شهرياً». عبد الرزاق أحمد أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٢، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٧م)، ص١٨.

(٣) عاشور، أثر المدنية، ص٢٠٨.

العلماء باختلاف دياناتهم من مسلمين ومسيحيين ومستعربين ويهود يجتمعون على أعمال الترجمة والدراسة والبحث، ونذكر من هؤلاء الحكام «الفونسو العاشر» الملقب بالحكيم الذي أمر بترجمة شروحات أعلام الفلاسفة المسلمين، أمثال ابن رشد وابن باجه ومحيي الدين بن عربي، ورسالة حي بن يقظان لابن طفيل(١).

ليس ذلك فقط بل إن شريعة الدين الإسلامي أعطت صوراً بلغت أعلى درجة من الإنسانية، فالمسلمون جميعاً يقفون بين يدي الله في الصلاة، لا يخصص مكان لعظيم أو عالم، جميعهم سواسية، كذلك في الصوم يجوع الناس جوعاً واحداً لا يفرق بين أميرهم وفقيرهم، وفي الحج يلبسون منسكاً واحداً، فقويهم وضعيفهم وشريفهم وعامتهم في ذلك الموقف سواء، كل رافعاً يده يرجو رحمته ويخاف عذابه.

أمّا من ناحية الكرامة الإنسانية التي أهدرت على مر العصور التاريخية فقد ارتفع شأنها، فالشرع الإسلامي صان كرامة الإنسان مهما كانت ديانته أو لونه، قال جلّ من قائل، الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(٢) هذه الكرامة هي التي تضمن للناس جميعاً حقهم في العقيدة والعلم والتعايش، فهي للناس جميعاً، فالدين ملك للجميع،

---

(١) www.islamset.com

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٧٠.

كما أن العلم كذلك ملك لهم، بل إن هناك في الحياة تفاصيل حرمت منها جماعات من الناس في حضاراتهم أقربها سنة التزاوج بين الناس باختلاف طبقاتهم. نعم استطاع الإسلام أن يمحو تلك الطبقية البغيضة مبقياً على صفة التفاضل بينهم على أساس من التقوى والعمل الصادق.

ليس ذلك فحسب بل إن من واجب الدولة أن تكفل لرعاياها كرامتهم مهما اختلفت ألوانهم، فجميعهم متساوون لا أن تضع قوانين تهدر كرامتهم وتصنف مكان وجودهم . ونذكر مثالاً على ذلك ما كان من أمر عطاء بن أبي رباح مولى لبني فهر، تولى أمناء مكة وكان ينادي منادي الخليفة في موسم الحج: «لا يفتي الناس إلاّ عطاء بن أبي رباح، وكان على دمامته وسوء شكله وعنصره غير العربي يتصدر أرفع مركز بين الناس» كذلك كان طاووس بن كيسان الفارسي لا يبالي أن يوبخ الخلفاء في مجال التذكير والإرشاد حتى كانوا يجلبونه ويلتمسون رضاه[١].

وهكذا انقلب التفاضل بين الناس في ظل الإسلام من جنس ولون وقبيلة إلى ما يقدمه الأفراد من أعمال نافعة وجهد مبذول في سبيل ارتقاء الإنسان بعلم نافع وفكر نابه وجهد مبذول.

---

(١) توفيق الواعي، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، (د.ط)، (المنصورة: دار الوفاء، (د.ت))، ص٢٢٤.

أما في التواضع ولين الجانب فقد قدم لنا الإسلام نماذج عظيمة جسدها الصحابة - رضوان الله عليهم - فهذا الخليفة أبوبكر - رضي الله عنه - يتفقد اليتامى من أبناء المسلمين الذين فنوا في الحروب بل ويشاركهم في أعمالهم ليشد من أزرهم ويقول في ذلك: «أرجو أن لا تغير الخلافة من خلق كنت أعتاده من قبل»[1].

أما عمر - رضي الله عنه - فقد التمس الناس عدله وإنصافه وتفقده لرعيته حتى بلغ من عدله أن قال: «والله إني لأخاف إن تعثرت دابة بالعراق أن أسأل أين كنت يا عمر». هذا هو عمر في عدله وخوفه على رعيته، غدا أنموذجاً تقتدي به الأجيال.

فلم يأت ذلك التواضع والعدل من فراغ، وإنما من تربية إسلامية ربانية قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[2] والآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[3].

وقال جل وعلا في الظلم: الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[4].

---

(١) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، (الرياض: مكتبة الوراق، ١٩٩٩م)، ص١٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

وهكذا نجد أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي جمع بين التسامح والمساواة والعدل، وهي مطالب تنشـدها جميع شعوب الأرض بل وترى استـحالة تحقـيقها. نعـم يستحيل أن تحـقق في غير حـضارة الإسلام الخالدة.

ونذكر من أثر الأخـلاق الإسلامية على الغرب تأثـرهم بصفات الفارس المسلم التي تحـتاج من صاحـبها: التـقوى، والشجاعـة، ورقة الشمـائل، وقريحـة شعـرية، وفصـاحة، ومـهارة مع قدرة فـي حمل السلاح من سيف ورمح ونشـاب. وما كانت لتتوافـر كل هذه الخصال لولا الإسلام، وإن توافر بعض منها من قـبل، فإن الإسلام عمل على تهذيبهـا وصقلها، فأضاف إليـها السمو الروحي والتـرفع عن سفاسف الأمور والمسارعة في نجدة الضعيف.

كل تلك الصفـات كانت بعيـدة عن فرسان الغرب في العـصور الوسطى حتى القرن الحادي عشر الميلادي حتى أن هناك حوادث لتعطينا الدلائل الدامـغة على افـتقـار الغرب لهـا لولا احتكاكـهم المباشـر مع المسلمين وتلمسـهم واقع حالهم في الحروب، أو في تعـايشهم السلمي معـهم، وفي ذلك يقول الكاتب الإسبـاني الكبير « بلاسكو إيبـانيز»: «لقد نشأت روح الفـروسية بين عرب إسبـانيا وأخذها عنهم فيـما بعد أهل الشمال زاعمين أنها طبيعة من طبائع الأمم المسيحية»(١).

(١) عـبـد الحليم مـحمـود، أوروبا والإسـلام، ط٤، (القـاهرة : دار المعـارف (د.ت))، ص١٥٢.

ليس ذلك وحده الذي نقل أثر الفروسية إليهم بل إن الحروب الصليبية كانت سبباً من الأسباب التي أدت إلى تقليد الغرب للمسلمين حيث رأوا: صفات الشهامة والنبل والفروسية يتحلى بها أعداؤهم الشرقيون فالتمسوا الفرق بين ما رأوا وبين ما كانوا قد سمعوه عن العرب المسلمين، فبدأوا بدراسة الشرق من خلال تلك الحروب الصليبية(١). قال هيرنشو: «لقد خرج الصليبيون من ديارهم لقتال المسلمين فإذا بهم جلوساً بين أقدامهم، يأخذون عنهم افانين العلم والمعرفة، ولقد بهت الأوروبيون أشباه الهمج عندما رأوا حضارة المسلمين التي رجحت حضارتهم رجحاناً لا تصح معه مقارنة بينهما»(٢).

أما جوستاف لوبون فيذكر: «أن الغرب أخذ عن المسلمين أخلاق الفروسية واحترام المرأة وتحرير العبيد»(٣). وفي موضع آخر يقول: «تخلص النصارى من همجيتهم بفضل اتصالهم بالعرب واقتباسهم منهم الطبائع النبيلة ومبادئ فروسيتهم التي منها: مراعاة النساء والشيوخ والأولاد واحترام العهود والوفاء بالوعود»(٤).

---

(١) محمود، أوروبا والإسلام ، ص١٥٢.

(٢) أحمد شلبي، صراع الحضارات، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م)، ص٤٠.

(٣) حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، (القاهرة: دار إحياء الكتب، ١٩٥٦)، ص٣٣٨.

(٤) لوبون، حضارة العرب، ص٥٩٧.

ويقول آخر: «.. وجد الصليبيون في المسلمين إنسانية عالية وشرفاً وشجاعة ووفاء بالعهد وغير ذلك من الصفات التي لم يكونوا يسمعون بها من قبل، وقد ساعد ذلك على تكوين الناحية الإنسانية في الأوروبيين ولم تكن هذه الناحية من قبل ذات بال عندهم»(١).

ولم يقتصر ذلك الأثر على عامة الناس في أوربا بل نالت أمرائهم يذكر ذلك كاتب آخر فيقول: «لقد هذبت طبائع أمرائنا الإقطاعيين الخشنة في العصور الوسطى بفضل علاقتهم بالعرب وتقليدهم لها، فتعلم أشرافنا وفرساننا رقة العواطف ولين الطبع وحسن الأخلاق.. وإنني أشك أن النصرانية وحدها كانت لا تستطيع أن تأتي مثل ذلك التأثير مهما يبالغ في إكرامها»(٢).

وهكذا نجد أن أثر الإسلام بفكره الحر وبأخلاقه وقيمه النبيلة، يبدو واضحاً جلياً لا غبار عليه، الأمر الذي انعكس على الغرب وعلى حضارتهم.

والعلاقات الإسلامية المسيحية لم تنقطع رغم ما وصلت إليه حضارة الغرب من تقدم وتعصب، بل إن هذه العلاقة بلغت أحياناً درجة التنافس والصراع في أغلب محطاتها واتخذ هذا التنافس أشكالاً عدة منها الجولات الكلامية الواسعة التي يعرض فيها كل طرف ما يحمل من أفكار ليواجه الطرف الآخر.

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص٤١.
(٢) عاشور، المدنية، ص٢١٠.

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين دونت تغيرات عميقة وجذرية ومتساوية في الأفكار وكافة المجالات. وظهرت اتجاهات عديدة تسعى إلى التقارب والتفاهم بين الشعوب، ومن ذلك التقارب واللقاء الذي كان يتم بين المسلمين والمسيحيين اعتماداً على الدين (الحوار المسيحي الإسلامي) حتى اعتبر البعض خاصية الحوار بين الحضارات والأديان ميزة للنصف الثاني من القرن العشرين. إلاّ أن الحوار الإسلامي المسيحي بدأ منذ ظهور الإسلام واستمر حتى بدايات القرن العشرين.

ونذكر من ذلك محاورة الرسول ﷺ لنصارى نجران، كذلك ظهرت شخصيات إسلامية ومسيحية تدعو للحوار، نذكر من الجانب الإسلامي أبا العلاء المعري الذي رأى إحلال الصراع الفكري محل الصراع العسكري(١).

ومن الجانب المسيحي انطلق يوحنا بن سيفوفي (١٤٠٠ - ١٤٥٨م) ونيكولاي كوزاني (١٤٠١ - ١٤٦٤م) من رؤية مؤداها أن الحرب لا تحل الخلاف بين الديانتين المسيحية والإسلام.

ونذكر أول دعوة للحوار المسيحي الإسلامي أقرها يوحنا ووضع لها عنواناً سمي (Contra Ferrite) موجهة من البابا بيوس الثاني إلى السلطان محمد الثاني الفاتح (١٤٢٩ - ١٤٨١م)(١).

---

(١) هادي العلوي، حوار الأديان ضروراته وأطرافه، إعداد: سعاد حروس (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م)، ص٤٨.

(١) اليكسي جورافكسي، الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد جراد، (د. ط)، (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٦م)، ص٢١٥.

وكانت الدعوة تتحدث عن الخلاف بين الإسلام والمسيحية والأسس المشتركة، يقول جورافكسي: «إن هذه الرسالة لا تسعى إلى التفاهم اللاهوتي، وإنما لأهداف سياسية ودعوية»[١].

إلاّ أننا يمكننا أن نقول إنه بدءاً من القرن الخامس عشر نمت المعارف الوافية عن الإسلام عند الأوروبيين إلا أن ذلك النمو كان بطيئاً.

ونستطيع أن نربط بين الحوار المسيحي الإسلامي والقرن العشرين بدعوة التبشير التي قامت بها الكنائس الأوروبية الغربية مع المسلمين، والتي كانت لها آثارها واتجاهاتها الهادفة، والتي أخذت جانباً إيجابياً وآخر سلبياً.

فالجانب الإيجابي كان يكمن في استمرار اللقاء الإسلامي المسيحي حول ضرورة الحوار، وذلك تشكل في عدد من المؤتمرات واللقاءات الدينية.

ويذكر أنه في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قام حوار إسلامي ومسيحي على أيدي مفكرين: الأول الروسي فلاديمير سولوفيور Vladimir Solovyor (١٨٥٣/ ١٩٠٠م) وهو يعتبر أباً مؤسساً للحوار الديني[٢].

---

(١) جورافكسي، الممهدات الفكرية للحوار الإسلامي المسيحي، (مجلة الاجتهاد)، العددان: ٣١, ٣٢، السنة ١٩٩٦م، ص١٥٤.

(٢) جورافكس، الممهدات الفكرية، ص١٥٩.

والثـاني هو الفـرنسي لويس مـاسينيـون Louis Massigron (١٨٨٣ - ١٩٦٢م) وتكمن أهميته في عمله على تجـريد نظرة المسيحية للإسلام[١].

أمّا على الصعـيد الإسلامي فنذكر الشيخ جمـال الدين الأفغاني والشيخ مـحمـد عبده حـيث حاول الأفـغاني: «أن تتسـع الوحدة بين المسلمين والمسـيحيين الأمـتين اللتين كان بيـنهما عطف وصـلة وتعاون عريق منذ فجر الإسلام»[٢].

ويذكر محمد عمارة: «إن الحديث عن وحدة الأديان حجة للذين يحاولون - في نظر البعض - إذابة الخصوصيـة للحضارة الإسلامية في الحضـارة الغربـية. . بل إن البـعض بادر إلى نفي هذا الفهم وبـيان أن الحديث عن الوحدة بين الأديان لا تـتعدى التوكيد على وحدة العـقيدة في توحيد الألوهية وإسلام الوجه لله مع اسـتمرارية الوعي بخصوصية الإسلام وتميزه شريعة وحضارة»[٣].

ولقد كـانت تلك الحوارات ضمن ضوابط وخـصائص بدأت منذ

---

(١) سعـود المولى، الحوار الإسلامي المسيـحي، (بيروت: دار المنهل، ١٩٩٦م)، ص١٣٩.

(٢) محـمود أبو ريه، جمال الديـن الأفغاني، (د. ط)، (مصـر: دار المعارف، ١٩٧٦م)، ص٥٧.

(٣) محمـد عبد الرحمن عـوض، الإسلام والأديان ضوابط التقريـب بين البشر ومحـاذير التقـريب في العقـيدة، (د.ط)، (مصـر: دار البشـير،١٩٨٩م)، ص١٨.

منتصف القـرن العشرين[1] وتحديداً منذ مجـمع الفاتيكان الثاني الذي كان عنوانه يدور حول علاقة الكنيسة مع الديانات الأخرى[2].

وفي عـام ١٩٧١م ظهر عنوان جـديد للتـقارب بين الإسـلامي والمسـيحي تحت مسـمى «الحوار مع الشعـوب ذوات العقـائد الحيـة والأيدلوجـيـات». وعلى أثـر ذلك أخـذت ظاهرة الحـوار الإسـلامي المسيحي تتنامى وازداد نشاط الجمعيات الحوارية[3].

ومنذ عام ١٩٧٣م ومع ظاهرة الصحوة الإسلامية أخذت الجمعيات الإسلامية والمسيحية تعمل سوياً لإنماء الحوار الديني الهادف[4].

ومن الجانب الإسلامي كان أهم هـذه الفئات: الأزهر، والمجمع المكي لبـحوث الحـضارة الإسلامـية، وجـامعـة أنقرة، ورابطة العـالم الإسلامي، وجامعة تونس[5]. كما دخلت إيران في حوارات إسلامية

---

(١) جوليت حداد، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، (بيروت : دار المشرق، ١٩٩٥م) ، ص١١٢.

(٢) عـفيف عـثمـان، الحوار الإسـلامي المسـيحي المنطقي والمشكلات، (مـجلة الاجتهاد)، العددان ٣١ -٣٢، ١٩٩٦م، السنة: ٨، ص١٣٩.

(٣) رضوان السيـد، الحوار الإسلامي المسيحي والعـلاقات الإسلامية المسيـحية، (مجلة الاجتهاد)، العددان ٣١-٣٢، ١٩٩٦م، ص١٤.

(٤) أحمد صوفي الدجاني، مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الاسلامية، (القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٩م) ص٦٥.

(٥) عارف مـحمد مفلح السـرهيد، المجمع المكي لبحـوث الحضارة الإسلامـية، (عمان : مؤسسة آل البيت، ١٩٩٨م) ص١٤.

مسيحية متعددة. وكـذلك نشطت اللقاءات الإسلامية المسيحية، ونالت ظاهرة الحوار الإسلامي المسيحي اهتمام الجامعات الأمريكية.

ويذكر أن جامعة (Narford) استقبلت أكـثر من ٢٠٠ دارس و ٣٠ متحدثاً في مؤتمر لتقويم العلاقات المسيحية الإسلامية[١].

ومنذ عام ١٩٩٠م إلى عـام ١٩٩٧م ظهرت موضوعـات الحوار بين المسلمين والمسيحيين تحـمل متطلبات منها مواجهة الاتحـاد السوفيتي (الشيوعـية) ومواجهـة التطرف والإرهاب، وكذلك استيـعاب الإسلام وتحجيم دعوته، وأخـيراً الاعتراف المتبادل والفـهم المشترك بين الإسلام والمسيحية.

وهكذا نجد أن الحـوار الإسلامي المسيـحي كان قد أخـذ مراحل عديدة أظهـر فيهـا المسلمون تعـاونهم ورغبتـهم في المشاركـة للخروج بحوارات بناءة هادفة لخدمة البشرية وإنماء للحضارة الإنسانية.

وبما أننا ذكـرنا الجانب الإيجـابي للتبـشير، كـان لابد من تناول جانبه السلبي الذي تجلى فى عدة أمور منها:

فشل بعض المؤتمرات التي كانت تعـقد من أجل الحوار الإسلامي المسيحي، خاصـة أن إقامة مثل هذه اللقاءات كان قائمـاً على اعتبار أنَّ كل طرف معترفاً بالطرف الآخر. فالإسلام يعترف بالمسيحية وكان لابد

(١) إيلي سالم، الحـوار الإسلامي المسيـحي، (مجلة الغـدير)، المجلد الخامس، العدد ٢٩، ١٩٩٥م، ص٢٠٨.

للمسيحية الاعتراف بالإسلام[1]. وهذا الهدف الأخير كان البعض يراه حاجة ملحة بالنسبة للمسلمين أكثر منه للمسيحيين. إضافة إلى أن هناك رأياً يرى أن الطرف الإسلامي كان خاسراً فيها « إذ إن فيها دعماً معنوياً للكنيسة واعتراف المسلمين بها»[2].

مما قد يفيد الطرف المسيحي في تعزيز مكانته، هذا إضافة إلى الدور الذي يلعبه المبشرون المشتركون في اللقاءات بالتعرف على الإسلام وما عند المسلمين، وهو الأمر الذي أفادوا به الدول الاستعمارية[3].

أما الجهة الأخرى فترى أن الحوار يرفع مستوى التفاهم ويصحح الصورة الذهنية، ويعمل على تحقيق الأهداف المنشودة في تصحيح المعلومات المشوهة[4].

وقد كان هذا هدف المسلمين من المشاركة في تلك الحوارات الدينية خاصة أنّ الإسلام والمسلمين يتعرضون لحملة تشويه مقصودة من

---

(١) أنور الجندي، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة، (د.ط) (مصر: مكتبة التراث الإسلامي (د.ت)) ، ص٦٦.

(٢) بسام عجك، الحوار الإسلامي المسيحي المادي والتاريخي، ط١، (سوريا: دار قتيبة، ١٩٩٨م) ، ص٣٢٣.

(٣) محمد يحيى، حوار الأديان بين المظهر والجوهر، (مجلة البيان)، لندن: المنتدى الإسلامي، العدد: ٧٥، ١٩٩٤م، ص ١٠٨-١١٨.

(٤) يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، ط١، (أبوظبي: منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٧م)، ص٤٢.

الإعلام الغربي، فلعل الحوار الإسلامي المسيحي يكون فعالاً في الرد على ذلك، وهو مما سيقضي إلى تبرئة الإسلام من الافتراءات التي وقعت عليه.

إلاّ أنّ البعض يرى أن الحوار المراد به تحسين صورة الإسلام المشوهة سيجعل المسلمين في موقف دفاعي، كما يؤكد هيئته كمتهم تطرح عليه الشبهات وهو يرد على هذه الاتهامات[(١)].

خاصة أنّ الحوار الإسلامي المسيحي كان يهدف إلى عدة أمور، منها أن تكون أهداف الطرفين: المسلمين والمسيحيين موحدة حول الدعوة إلى الله، وتخفيف وطأة الضغط الاقتصادي والإعلامي الغربي المسيحي على البلاد الإسلامية المستضعفة، إلى جانب تحقيقهم التقارب[(٢)].

إضافة إلى أنّ الهدف الإسلامي من إقامة الحوار هو محاولة إثبات حسن النية تجاه المسيحية، وبالتالي تجاه الحضارة الغربية من أجل تعايش سلمي عالمي.

أما الأهداف المسيحية فكانت ترمي إلى توكيد التبشير

---

(١) يحيى، حوار الأديان، ص١٣٦.
(٢) محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٨م). ص٨١.

والديمقراطية والمساواة والعدل[1]. وقد كانت تلك الأهداف ظاهرة، أما مراميها الحقيقية فقد تجلت في خدمتها للاستعمار بعد أن جهزت له بأعمالها التي سعت بها بين أبناء العالم الإسلامي، فعملت على إضعاف أبنائه وهزت ثقتهم بأنفسهم.

ولما كان الاختلاف بين الأهداف واضحاً خاصة أن الجانب الإسلامي دائماً يهدف إلى تكوين جبهة إسلامية مسيحية لمواجهة الصهيونية والأطماع الإسرائيلية، واجهت تلك الحوارات صعوبات في الاستمرار.

لذلك وقفت الأهداف عائقاً دون وصول الحوار الإسلامي المسيحي نحو حلول للقضايا المشتركة.

وهكذا نجد أن اللقاء الإسلامي المسيحي عن طريق حوار الأديان كان موجوداً منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا هادفاً إلى ما فيه خير الإنسانية جمعاء. وإنْ واجهته صعوبات إلاَّ أنَّ الأمل يظل موجوداً نحو « مشروع أخلاقي عالمي يسهم في السلام العالمي»[2].

كذلك لعب الاستشراق دوره في إثراء اللقاء الإسلامي المسيحي

---

(١) أنور الجندي، الحوار بين الأديان ، (مجلة المنار)، العدد ٣٠، السنة: ١٢، ص ص٨٣ -٩٤.

(٢) هافس كينغ، نحو مشروع أخلاقي عالمي، ترجمة: جوزيف معلوف وأورسولا عساق، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م) ص٢٠٤.

إلا أنه كان سلاحاً ذا حدين، منه الجانب الإيجابي ومنه الجانب السلبي. حيث إن الاستشراق حركة منظمة ذات أهداف ومنهج، وكانت البدايات الأولى قد ظهرت بصورة فردية ترجع إلى القرن الأول الهجري.

يذكر أحمد أمين: «أن يوحنا الدمشقي (٦٧٦ / ٧٤٩) درس الإسلام وكتب كتاباً في المجادلة بين المسلم والنصراني»[١].

ثم ظهر بعده القديس كراس الذي عنى بالقرآن، وترجم بعض آياته، كذلك ظهر بيتر فيل في القرن الحادي عشر الميلادي، وقد ترجم القرآن كاملاً، وبعد هذا كانت هجرة العلماء للبحث ونقل المخطوطات الإسلامية[٢].

وكان هدف الاستشراق القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين وتشويه صورته في نظر الشعوب الأوروبية، وذلك لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة مستفيضة عن الإسلام خاصة أنه يعتمد على القوة الأساسية التي يستمدها المسلمون من عقيدتهم الإسلامية بما تحمله من قيم وأخلاق وفداء وتضحية، وللوصول لها كان لابد من ترجمة كتب العقيدة التي تتعلق بمصادر التشريع الإسلامي. القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث وجد متعصبو الغرب في الكنيسة أنه لا يمكن

---

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، (بيروت : دار الفكر، ١٩٩٦م) ، ص١٢٤.
(٢) محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (قطر: دار الأنصار، (د.ت))، ص١٢٤.

محاربة المسلمين إلاَّ بزعزعة ثقتهم في دينهم الذي هو مصدر قوتهم.

ولما كان الاستشراق امتداداً للتبشير، أي بمعنى خدمة الكنيسة، جاءت أهداف المترجمين المستشرقين على نقيضين، الأول: الهدف منه العلم ونيل المعرفة، والثاني: دافع تعصبي بغيض. فقد ظهرت الروح البريئة في نزعة الفونسو العالم، والإمبراطور فريدريك الثاني اللذين نهلا من معين العالم الإسلامي بترجمته والإفادة منه حيث مثلا مرحلة من مراحل الترجمة بوجهها المضيء إلا أن الوجه الآخر مثله لنا على سبيل المثال ريموند مارتين الذي كان قساً دومنيكيّا قطلونياً، اجتهد في تعلم لغة العرب لكي يقارع الإسلام وأهله بالحجج، ولأجل ذلك ألف كتابه «خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود»(١)، وقالت زيغريد هونكه: «إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية، وإن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كثير جداً. وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، لكن التعصب الديني واختلاف العقائد أعميا عيوننا وتركا عليها غشاوة حتى أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة فلا نجد فيها إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة»(٢).

---

(١) مختار القاضي، أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية، (د.ط)، (القاهرة: مطبعة الأهرام، ١٩٧٢م)، ص ١٧٩.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة، هارون عيسى ، ط٨، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م)، ص١١.

وقد نوه (Emerton) إلى دور القساوسة في تشويه صورة الإسلام والمسلمين فقال: «الثقافة التي حصل عليها الصليبيون من المسلمين انتزعت الصليبيين من الحياة البربرية ومن الجهل والوحشية ودفعتهم إلى عالم الحضارة، وكان الأوروبيون يسمعون من القسيس كلاماً خاطئاً عن المسلمين»[١].

وبذلك نجد أن الأهداف الأولى للتبشير والاستشراق - في جو العصبية الدينية - خدمة المسيحية لذلك اتجهت للدراسات العقائدية خاصة دراسة آراء المسلمين الفلسفية الجدلية التي اقتبسوا منها الحجج والآراء أمثال: الغزالي وابن رشد.

وتناولت أقلام المستشرقين سيرة الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، فوصفوهم بأبشع الصور حتى قال كارادي مو: «إن محمداً ظل وقتاً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة فلم توجد خرافة ولا فظاظة إلا ونسبوها إليه». كذلك يذكر من أساليب تشويه المستشرقين لشخصية الرسول ﷺ: «التشكيك وقلب القيم والحقائق»[٢]. ولقد وجد القساوسة والمستشرقون ضالتهم المنشودة من خلال الإسرائيليات التي أشبعت أهواءهم وأرضت تعصبهم الممقوت مما شفى نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

---

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص٤١.

(٢) عماد خليل، لعبة اليمين واليسار، (القاهرة: (د.م)، ١٩٨٢م)، ص٤٩.

والغريب كما يقول أبو شهبة عن هؤلاء المستشرقين من الفئة الضالة: «أنهم في سبيل إرضاء صليبيتهم المعروفة والتي رضعوها في لبان أمهاتهم يصححون الموضوع والمختلف والمنحول (من الأحاديث) على حيث نراهم يحكمون بوضع كثير من الأحاديث الصحيحة حتى ولو كانت من الصحيحين»[(١)].

وقد كانت الترجمة والتأليف أخطر الوسائل التي استخدمها المستشرقون، ومن مؤلفاتهم: (حياة ذي البدع محمد) للمستشرق بريدو المتعصب المسيحي الذي بينَ في مقدمة كتابه أن غرضه من هذا الكتاب: (خدمة المسيح الحكيم)[(٢)] و (حياة محمد) للسير وليم مور و (الإسلام) لفروجيوم و (الإسلام) لهنري لامنس و (دعوة المؤذن) لكينيت كراج و (ترجمة القرآن) لابري و (الإسلام) لصموئيل زويمر.

وقد سلك المبشرون والمستشرقون طرقاً عديدةً تمكنهم من الوصول إلى أغراضهم منها: التدريس الجامعي وجمع المخطوطات العربية والتحقيق والنشر والترجمة. إضافة إلى الاشتراك في المجمعات اللغوية والمجامع العلمية في العالم الإسلامي.

نذكر منهم: جب وماسينون ونيكلسون ومرجليوث، ظهروا في المجمع اللغوي المصري والسوري، إضافة إلى جويدي الإيطالي وجي

---

(١) محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤، (مصر: مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ)، ص٥

(٢) محمود، أوروبا والإسلام، ص٦١.

سو الفرنسي وفاللينو الإيطالي وهارتمان الألماني. وهم يعملون وفق خطط مدروسة تهدف للحط من قيمة الفكر الإسلامي.

وقد قام المستشرقون بوضع دوائر معارف منها (دائرة المعارف الإسلامية) التي «لا تصلح مصدراً لاستقاء معلومات عن الإسلام ولا عن المسلمين ولا عن غيرهم»(١).

كذلك قاموس المنجد حيث يحتوي على: «أربعمائة خطأ تاريخي إسلامي وعلمي» أما الموسوعة العربية الميسرة: «فتعرض موضوعات ذات معلومات إسلامية بصورة ضعيفة وفاترة تشوه التاريخ بهدف خدمة مخططات صهيونية»(٢).

ونذكر من الكتب الاستشراقية كتاب يقظة العرب، الذي ألفه جورج انطونيوس وكتاب (شمائل المصريين) الذي وضعه ادوارد وليم، وقد نبه عنها أنور الجندي بقوله: «وقد نبهنا إلى خطورة هذه الكتب نظراً لأنها أدوات استشراق روجت لها وجعلتها المصادر الأساسية لمن يكتب عن الإسلام.. لأن قارئها إن لم يكن واعياً بخطورتها فسوف تتشكك مفاهيمه بصورة معارضة لحقائق الإسلام»(٣).

---

(١) سعد الدين السيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط٢، (القاهرة: دار الأرقم، ١٩٩٣م)، ص١٠٩.

(٢) السيد، احذروا الأساليب، ص١١٠.

(٣) أنور الجندي، الفكر الإسلامي ومقومات العلوم الحديثة، (القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٩م)، ص٣٧

لذلك كان من الضروري التنبيه لضرورة استقصاء المعلومات من مصادرها الرئيسية ومنابعها الأصلية حتى يضمن القارئ والدارس سلامة نقله للمعلومات.

ولكن مما يؤسف له: أن بعض المثقفين العرب الذين أخذوا ثقافتهم على يد المستشرقين تابعوهم وصاروا يرددون ما قاله هؤلاء لا لشيء، وإنما لأنهم يرون فيهم قمة العلم والمعرفة.

يقول حسين الهراوي: «إن للمستشرقين طريقة لا تشرف العلم وهي أنهم يفترضون فرضاً ثم يلتمسون أسبابه، فإذا وجدوا في القرآن آيات تتناسب معانيها مع غرضهم اقتبسوها، وإذا وجدوا آيات لا تتناسب مع غرضهم تجاهلوها وقالوا إنها غير موجودة في القرآن الكريم»[(١)].

وكذلك جاء الاستشراق كأداة لمساعدة الاستعمار الغربي للبلدان الإسلامية، ويذكر هانوتو ذلك: «وأفضل الطرق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامي وتصوره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن قيمها الأصلية»[(٢)].

كما أنَّ المستشرقين توجهوا في دراساتهم إلى ترجمة كتب التاريخ الإسلامي لمعرفة الشعوب وحضارتها، والإفادة منها في علم الأجناس

---

(١) الجندي: الفكر الإسلامي، ص٣٨.
(٢) السيد، احذروا الأساليب، ص١٠٤.

لتقديم المعلومات للمستعمرين للبلدان الإسلامية، إضافة إلى معرفة نقاط ضعف المسلمين التي تسهل مهمتهم في تفكيك أي قوة إسلامية تظهر ضدهم.

ويذكر موريس بوكاي: «إن معظم الناس في الغرب قد تربوا على سوء فهم الإسلام والقرآن، وحيث حاول المستشرقون غير المنصفين أن يشوهوا صورة القرآن في أعين الناشئة»(١).

وكان هذا هو الجانب السيئ من الاستشراق على الإسلام والمسلمين إذ أنه لا يوجد خوف منهم لأن الأمة الإسلامية أصبحت واعية ومدركة لمؤمراتهم، كما أن طرقهم وأساليبهم باتت مكشوفة الآن.

والآن نجد أن حركة الاستشراق في حالة تجديد مستمرة حيث تهدف لتمويه المسلمين عن دراسة حضارتهم، وذلك بما تشنه أقلام المستشرقين في الطعن في الإسلام لإكساب المسلمين خاصية لباس الذل والضعف وعدم الثقة في حضارتهم.

ولكن نذكر الجانب المضيء من الاستشراق، والذي تمثل فى اللقاءات والمؤتمرات التي كانت تتم في المحافل العلمية الدولية، والتي استطاع البعض من المستشرقين الوصول إلى حقيقة الإسلام كدين سماوي عالمي حتى نالهم الشرف بالدخول فيه.

---

(١) السيد، احذروا الأساليب، ص١٠٥.

فكوّنوا بذلك صورة أخرى للاستشراق تدعو إلى تنمية العلاقات الإسلامية المسيحية، وتدعو إلى الحوارات الهادفة، وتعمل على شرح الإسلام لمن كان لا يعرفه الأمر الذي ساعد هؤلاء المنصفين الغربيين على تأدية رسالتهم نحو أبناء جنسهم.

ومن هؤلاء المنصفين من الغرب الكونت هنري دي كاستري الذي درس الإسلام دراسة عميقة، وبدأت الأفكار البالية التي نقلتها له الكنيسة عن التعاليم الإسلامية تنجلي لتحل محلها الحقيقة الناصعة، فرأى أن واجبه أن يعلن عما اهتدى إليه فكتب كتابه (الإسلام خواطر وسوانح) والذي دافع فيه عن الافتراءات التي نسبت إلى الرسول ﷺ حيث قال: «ما كان يقرأ ولا يكتب محمد ﷺ» بل كان كما وصف نفسه مراراً - نبياً أمياً- وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه. أما كارلايل: أحد كبار الكتاب الإنجليز فقد أثار كتابه (الأبطال) إعجاب الفكر العالمي، وتُرجم إلى اللغات الحية والتي منها اللغة العربية، والذي قام بترجمته محمد السباعي.

كان ما كتبه في كتابه يتناول حياة الرسول ﷺ ، نذكر من ذلك قوله: «من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين إن دين الإسلام كذب وأن محمداً لم يكن على حق. لقد آن أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة..»[1] أما الورد

(١) محمود، أوروبا والإسلام، ص ٦١.

هيدلي: فيرى أن الإسلام هو الدين العالمي، وفي ذلك قوله: «أيمكن إذن أن يوجد دين يمكّن العالم الإنساني من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقي الذي هو فوق الجميع، وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتليين»[١].

كما يشيد بتعاليم الإسلام فيقول: «ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه، إنه أمام الجميع وفوق الجميع، وليس هناك قدوس آخر نشركه معه».. أما في رده على الافتراءات فهو يقول: «ليس في وسع الإنسان في الحقيقة إلا أن يعتقد أن مدبجي وناسجي هذه الافتراءات لم يتعلموا حتى ولا أول مبادئ دينهم وإلا لما استطاعوا أن ينشروا في جميع أنحاء العالم تقارير معروفة لديهم أنها محض الكذب والاختلاف..»[٢].

كذلك المستشرق الفرنسي روجيه جارودي الذي ترك النصرانية واعتنق الماركسية ثم بحث في الإسلام بحثاً موضوعياً فانتهى به البحث إلى اعتناق الإسلام. وقد كان إسلامه صدمة لكل الدوائر المعادية للإسلام من الشيوعية إلى الصليبية واليهودية.[٣] ومن قبله سار في

(١) محمود، أوروبا والإسلام، ص ٦١.
(٢) محمود، أوروبا والإسلام، ص ٧٠.
(٣) «للتزود بكثير من المعلومات عن المستشرق روجيه جاروي» انظر: مصطفى حلمي، إسلام جارودي بين الحقيقة والإفتراء، (القاهرة: دار الدعوة، ١٩٩٦م).

نفس الطريق ليوبلد فاس الذي أسلم وسمى نفسه محمد أسد. كذلك نذكر عالمة الذرة الأمريكية كريسينا والصحفي الأمريكي الذي أسلم وتحول إلى داعية للإسلام حيث أنشأ صحف الدعوة الإسلامية[(١)].

كل هؤلاء من المنصفين الغربيين الذين درسوا الإسلام بمنهج علمي سليم، فوجدوا فيه بعد سنين طويلة من البحث والتنقيب أمنيتهم الغالية، فقرروا أن يتحرروا من موروث عقائدهم الباطلة التي كفروا بها، وآمنوا بأنه «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وهكذا نجد أن اللقاءات الحضارية بين الأوروبيين في الغرب والمسلمين، في الشرق كانت تعمل على محورين، المحور الأول: هو تواصل الفكر الغربي مع الفكر الشرقي من خلال لقاءات الحوارات التي بدأت منذ زمن بعيد، فساعد ذلك في أن تبقى هذه الأواصر موجودة، بل يسعى كل من الطرفين على تنميتها، ومحور آخر عَمِل على توسيع الفجوة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية من خلال ما قامت به تلك اللقاءات من قبل المبشرين والمستشرقين المغرضين الذين لم يتخلوا عن صليبيتهم البغيضة، فظلوا يكيدون للإسلام مع نقلهم صورة مشوهة إلى العقلية الغربية الأوروبية التي لم تر من الإسلام إلا صورة سيئة تضافرت الجهود على إبرازها لهم.

ونحن الآن ندرك خطورة الاستشراق كغزو فكري بعد أن سقطت حبال التبشير، فنقول كيف لنا أن نقاوم الاستشراق؟

---

(١) السيد، احذروا الأساليب ص١٠٨.

ما واجب المسلمين تجاه الحركة الاستشراقية؟

إنَّ مما لاشك فيه أن على المسلمين أن يتحركوا، وأن يقدموا خطة عملية محددة لمواجهة المستشرقين.

ويكون ذلك بالكتابة حول الموضوعات العلمية التي تكتبها أقلام المستشرقين المغرضين وذلك بصورة صحيحة عن الإسلام يوضح فيها المختصين وجهة النظر الإسلامية في المشكلات التي أثارها المستشرقون.

على أن يضع كل مختص في دراساته كتابات المستشرقين مبيناً الأخطاء التي وقعوا فيها.

ونذكر من المؤتمرات الإسلامية العالمية التي عقدها مفكرو المسلمين لوضع خطط لمقاومة الاستشراق المؤتمر المنعقد بالمدينة عام (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)(١)، و الذي ظهرت فيه بعض ملخصات هذه الخطة التي تقوم على ما يلي:

١- إبعاد عملاء الاستشراق من العالم الإسلامي.

٢- تقويم القيم الإسلامية في نفوس المسلمين.

٣- إيجاد مكاتب في السفارات بالخارج تتتبع كتابات المستشرقين والمبشرين(٢).

---

(١) أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، (القاهرة: دار الأرقم. (د.ت))، ص٢١٢.

(٢) السيد، احذروا الأساليب، ص١٢٦.

إضافة إلى خطة قدمها محمود الزقزوق تقوم على ما يأتي:

١- إصدار موسوعة للرد على المستشرقين تقوم على المنهج العلمي.

٢- إنشاء مؤسسة علمية عالمية تقوم على شؤون العالم الإسلامي.

٣- إصدار دائرة معارف إسلامية للرد على المستشرقين، تعرض حقائق الإسلام عرضاً واضحاً ينفي عنه خبث المستشرقين وما كتبوه.

٤- إنشاء مؤسسة إعلامية إسلامية تدعو للإسلام، وترعى حقوق المسلمين الجدد وتهتم بهم.

٥- ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية والعالمية.

٦-تنقية التراث الإسلامي من الإسرائيليات.

٧- الحضور الإسلامي في الغرب واقتحام مجالات التدريس للعلوم العربية والإسلامية عن طريق الاتفاقيات الثقافية.

٨-نشر المطبوعات الإسلامية باللغات الأجنبية..

٩- الحوار مع المستشرقين المعتدلين بهدف التعاون[١].

وفي وضع هذه الخطة يقول السيد: «...ما أكثر الاقتراحات والتوجيهات، وما أقل العمل والتنفيذ.. إن المسؤولية تقع على عاتق حكام المسلمين الذين يملكون عناصر التمويل وقوة التنفيذ..»[٢].

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية، ص١٣١.

(٢) احذروا الأساليب، ص١٢٦.

وبذلك يكون الاستشراق حركة استعمارية منظمة أكثر منها حركة علمية، لذلك لن تنتهي هذه الحركة لأن الأهداف الاستعمارية الغربية ما زالت موجودة، بل تبذل الدول الغربية كل السبل لتجديد وسائلها لإبقاء استعمارها متمكناً في البلدان الإسلامية، ولما كان الاستشراق أحد هذه الوسائل فلن تبخل بالدعم المالي والضغوط من أجل توجيه أبحاث المستشرقين لخدمة مصالحها.

لهذا يرى محمد حسين: «إن تمجيد الإسلام في كتب بعض المستشرقين يقصد به خلق جو من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربي من ناحية ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين بمجاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية»(١).

لذلك وجب الحذر والانتباه خاصة أن الاستشراق أخذ مراحل عديدة من المرحلة الأولى التي أبدى فيها المتعصبون الروح البغيضة للإسلام إلى مرحلة يمكن أن نسميها وضع السم في العسل حتى يمكن تنفيذ الأغراض المرجوة لأجله.



(١) الإسلام والحضارة الغربية، ط٩، (السعودية : دار الرسالة، ١٩٩٣م)، ص١٣٧.

الفصل الأول

التفسير التاريخي للحوار الحضاري

ويحتوي على

(١) تعريف الحوار الحضاري لغة واصطلاحاً.

(٢) اشتقاقات معاني الحوار في القرآن الكريم.

(٣) الحوار الحضاري من منظور إسلامي.

(٤) تعدد الحضارات.

(٥) مكانة الحضارة الإسلامية بين الحضارات.

(٦) عناصر بناء الحضارة الإسلامية.

(٧) مميزات الدين الإسلامي.

التفسير التاريخي للحوار الحضاري:

ا - تعريف الحوارالحضاري لغة واصطلاحاً :

في وسط هذا الزحام المتراكم من الأخبار والمقالات والندوات والمقابلات ظهرت لدينا حلول واقتراحات ونظريات تحمل مصطلحات «حوار الحضارات» و «لقاء الحضارات» و «وحدة الحضارات» إلا أن جميعها تعود للمصطلح الأول. «حوار الحضارات» (The Dialogue of civilization) الذي يقابله في المصطلح الغربي (The clach civilizations) ذلك المصطلح الذي يأخذ أبعاداً سياسية حتى وصل إلى حد النظرية.

و (Clach) في اللغة الإنجليزية تحمل معنى صراع وهو على عكس المعنى الأول للحوار.

والحوار في اللغة العربية يأتي بمعنى المحاورة من مصدر حاور يحاور ومعناه: الجواب والمجادلة. قال ابن منظور: «وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام». والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة. والمحورة من المحاورة: مصدر، كالمشورة من المشاورة. تقول: سمعت حويرهما وحوارهما» والمحاورة: المجاوبة والتجاور: التجاوب وتقول: كلمته فما أحار جواباً وما رجع إلى حوار، أي ما رد جواباً واستحاره: استنطقه.

قال علي كرم الله وجهه: «يرجع إليكما بحوار ما بعثتما به» أي بجواب ذلك[1].

أما معنى الحضارة Civilization في اللغة العربية: من الفعل «حضر» على وزن قعد. ويقال: حضر الغائب حضوراً وحضرت الصلاة فهي حاضرة، والأصل حضر وقت الصلاة، والحضر: خلاف البدو و «الحضارة»: سكون الحضر والحاضرة: خلاف البادية وهي: المدن والقرى والريف، ويسمى أهلها بذلك لأنهم حضروا الأمصار فسكنوها وقروا بها[2].

أمّا عند ابن خلدون فإن الحضارة: أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرقة والكثرة، وهي لا تظهر إلاّ في المدن والقرى، وهي عناية العمران تتصل بالترف والفنون والصنائع[3].

أما ما يقابلها من مصطلحات فهي تأتي بمعنى الوبر والمدر.

فالوبر: هو الصوف الذي تصنع منه خيام البدو في الصحراء

---

(١) أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، ج٤ (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م)، ص٢٦٤.

(٢) مجمع اللغة العربية، المجمع الوسيط، ط٢، (استانبول: المكتبة الإسلامية، ١٩٧٢م)، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المقدمة، (بيروت : دار الفكر، ١٩٩٧م)، ص٣٠٨.

ويكون رمزاً على البداوة. أمَّا المدر: فهو الطين الذي تبنى به مساكن الحضر في المدن والقرى رمزاً للحضارة ودلالة على ساكن هذه المدن[1].

وتأتي الحضارة بمعنى الثقافة، وهي في اللغة: التهذيب والصقل والحذق، يقال: ثقف الشيء ثقافاً وثقوفه حذقه، ورجل ثقف: حاذق فهم[2].

أما المصطلح الأخير الذي يقابلها فهو النهضة من نهض: بمعنى ارتفع عنه، ونهض عن العدو أسرع إليه وهي في اللغة وليس فيها ارتباط بالمكان[3].

أمّا كلمة الحضارة عند المصطلحات الأوروبية: فتأتي حضارة (Civilization) مرتبطة بأصل لاتيني هو (Civites) بمعنى المدنية أو (Ci-vis) بمعنى ساكن المدينة أو (Civilis) بمعنى مدني أو (Citizen)[4].

كما أن كلمة (Civilization) لم تظهر حتى القرن الثامن عشر واستعملت بمعنى أن (Civilization) شعب مراعٍ للفائدة العلمية[5].

---

(١) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط٢، ج٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ص٢٢٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٨.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٩٥٨

(٤) نصر محمد عارض، الحضارة - الثقافة - المدينة (دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم)،(الولايات المتحدة : فرجينا، ١٩٩٤م)، ص٣٤.

(٥) جون نيف، الأسس الثقافية للحضارة الصناعية، ترجمة: محمود زايد، (د.ط)، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٢م)، ص٢١٤.

وكان أول من استخدم هذا المصطلح المركيز دي ميرابو في كتابه (صديق الرجال) أو (مقال في السكان) الذي ظهر عام ١٧٥٧م، أمّا كتابه الآخر (صديق النساء) أو (مقال في الحضارة) فقد صدر عام ١٧٦٦م. ورغم التحولات التي أضيفت إلى الكلمة إلا أن دلالات جذورها وهي المدنية ما زالت راسخة. كما وترتبط كلمة (Civilization) بالصناعة، والسبب في ذلك تفضيل الأوروبيين للاقتصاد الذي طرأ على حياتهم في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث طراوة العيش والاهتمام بالموسيقى وتنامي العلاقات الاجتماعية مع مستويات عالية من الفضيلة(١).

إلاّ أن هناك مصطلحاً آخر وهو (Culture) وهو لفظ لاتيني قديم يعني حرث الأرض وزراعتها، وكان موجوداً في العصر اليوناني والروماني. وكان من أبرز من استخدم هذا المصطلح شيشرون حين أطلق على الفلسفة (Mentis Culture) أي زراعة العقل وتنميته.

وفي عام ١٨٧١م تأخذ كلمة (Culture) معنى المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع(٢).

---

(١) نيف، الأسس الثقافية ، ص٢١٤.
(٢) دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، (د،ط) (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٠م)، ص٦٧.

وبذلك تكون كلمتا (Civilization) و (Culture) تحملان معاني المدنية والمعرفة والعقائد والفنون والأخلاق.

أما الألمان فقد استخدموا مفهوم (Kulture) أو (Culture) ليدل على التقدم العسكري، وظهر ذلك لدى كل من: دلتاي وهيغل وفيورباخ. ثم حاول الألمان إعادة النظر في دلالة مفهوم (Kulture) لجعلها ترتبط بالعلوم الإنسانية.

وبذلك يتحد مفهوم (Kulture) للدلالة على الحضارة في حين مفهوم (Civilization) استخدم عند اشبنلجر واشفيتسر وكاسيرر للدلالة على احتضار الحضارة[1].

أمَّا الإنجليز فقد نظروا إلى (Culture) بمعنى الثقافة فنجد ذلك في كتاب مايثو آرنولد (الثقافة والغموض Culture and Anarchy) الصادر عام ١٨٦٩م. فقد عرَّف الثقافة بأنها محاولتنا للوصول إلى الكمال الشامل من طريق العلم. أمَّا حديثاً فقد استقر التعريف في الفكر الإنجليزي (Culture) على أنها: التهذيب ومحاولة الوصول إلى الكمال. أما جون ديوي فيعرفها: أنها ثمرة التفاعل بين الإنسان وبيئته.

أمّا توبني فيرى تعريف الحضارة: أنها ثمرة تحدي البيئة للإنسان ونوع استجابته لها ويعتبر توبني الدين عنصراً وحيداً في دورة

---

(١) أحمد حمدي محمود، الحضارة، (القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ص١٦

الحضارة[(١)].

أما جوستاف كليم فقد وضع آخر هذه التعاريف إذ يعتبر أن المجتمع نفسه يتبع عدة حضارات (Culture) وينسب (Civiliza-tion) إلى الحضارات العليا ويعتبر لفظ (Culture) معبراً عن الحضارات البدائية[(٢)].

وبذلك يكون مفهوما (Civilization) و (Culture) يحملان ثلاثة مفاهيم في اللغات الأوروبية هي: المدنية والثقافة والحضارة.

إلا أن «ماكيفر» و «الفرد» كانا أول من تصدى للتمييز بين المصطلحات أو المفاهيم الثلاثة، فقد أطلق ماكيفر لفظ «المدنية» للدلالة على الجانب المادي في حين أن الحضارة تدل على الجانب الروحي وتتعلق بالغايات، ولا تخضع لخط التقدم والتأخر الذي يوجد في المدنية. أما الفرد فيرى: أن المدنية تقبل أن تنقل من جيل لآخر في حين أن الحضارة إنتاج مستقل يصعب انتشاره في المجمع الآخر[(٣)].

غير أن البعض يعتبر أن الحضارة إبداع وإرث اجتماعي يمكن

---

(١) حسين مؤنس، الحضارة، ط٢، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م)، ص٣٧٨.

(٢) فؤاد زكريا، الإنسان والحضارة، (د.ط)، (القاهرة: مكتبة مصر، (د.ت))، ص١٢.

(٣) زكريا، الإنسان والحضارة، ص١٣.

انتقاله بواسطة التعاليم الأخلاقية من جيل إلى آخر[(١)].

وهكذا نجد أن هناك تداخلاً كبيراً في الفكر الغربي بين (Civilization) و (Culture) فمنهم من جعل المفهومين مترادفين، ومنهم من جعل مفهوم الحضارة قاصراً على نواحي التقدم المادي من آلات ومؤسسات واختراعات.

أما إذا انتقلنا إلى ترادف المصطلحات الثلاثة عبر الفكر العربي (الحضارة - الثقافة - المدنية) فنجد أنها انتقلت إليها عن طريق الترجمة في بداية عصر النهضة، أي منذ أواخر القرن التاسع عشر حيث تمت ترجمة (Civilization) إلى معنى المدنية على يد كل من رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وقاسم أمين ثم ترجمت لمعنى الحضارة لدى محمد حسين هيكل[(٢)].

وإن مما تجدر الإشارة إليه أن استعمال كلمة حضارة اليوم هو استخدام حديث، حيث إن الكلمة ومحدثة استخدمت للدلالة على الحضارة الحديثة وأن الاشتقاق العربي أخذ من الاشتقاق الأوروبي.

إلاّ أن الاشتقاق العربي أقرب إلى المعنى الحقيقي لمعنى الحضارة وذلك لأن فيه دلالة على أن أهل الحضر (المدن) هم أصحاب العقول

---

(١) أدامون هويل، الإنسان والحضارة والمجتمع، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، (دمشق: وزارة الثقافة ١٩٧٨م)، ص٣١٨.
(٢) عارف، الحضارة، ص٣٩.

الحضارية الثقافية أقدر من غيرهم على الاختراع والتقدم. أمّا أصل الاشتقاق الأوروبي فينسب إلى الحرث والزرع، وهو يعني الريف وفلاحة الأرض. وهذا يخالف الاشتقاق العربي ويتبعه أهل المدن والحضر[1].

وهكذا نجد أن كلمة « الحضارة» (Civilization) مسمى حديث اختلفت اشتقاقاته في اللغة العربية إلا أن المعنى اللغوي العربي أقرب إلى الصحة وهذا ما حدا ببعض الأوروبيين إلى أن يجاري الاشتقاق العربي فيطلق اسم (Civilzation) من الكلمة (Civil) أي المدني أو مواطن المدينة.

أما في الاصطلاح: فنجد تعاريف عديدة لمعنى لفظ الحضارة (Civilization) منها:

هي: «الكيان المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفنون والآداب والقوانين والعادات وجمع القدرات والتقاليد التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع» تيولر[2].

«إنجازات تحقق للبشرية أو حققتها البشرية من خلق وسلوك ومعارف» أحمد شلبي[3].

---

(١) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٢٤.
(٢) عفت الشرقاوي، فلسفة الحضارة الإسلامية، (بيروت: دار النهضة، (د.ت))، ص١١.
(٣) الحضارة الإسلامية، ج١، (مصر: دار النهضة المصرية، ١٩٩٣م)، ص٢٠.

«ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود». حسين مؤنس[1].

يتضح لنا من خلال عرض هذه التعاريف أن أصحاب هذا الرأي يتفقون حول مفهوم عام للحضارة يتناول حياة الإنسان العقلية والنفسية والعملية وهي تتجه نحو الرقي والتقدم في جميع مجالات الحياة[2].

وهناك تعاريف أخرى منها: «هي نضوج الآراء والمبادئ والمعتقدات وتغير مشاعر الإنسان للأفضل» غسان لوبون[3].

«هي البحث الفكري والبحث الروحي» مالك بن نبي[4].

«هي التراث التاريخي المتمثل في العقائد والقيم التي ترسم للحياة غاية مثلى ومغزى روحياً عميقاً متعالياً على متناقضات الزمان والمكان عفت شرقاوي[5].

ونلاحظ أن هذه التعاريف تحمل معنى روحياً إنسانياً حيث ينظر من زاوية إلى الإنسان على أنه إنسان، وإلى الحضارة على أنها من لوازمه.

---

(١) الحضارة، ص١٣.
(٢) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٣٧.
(٣) حضارة العرب، ص٣٣.
(٤) مالك بن نبي، شروط النهضة، (دمشق: دار الفكر، (د.ت))، ص٣٣.
(٥) فلسفة الحضارة الإسلامية، ص١٨.

أما أصحاب الاتجاه التالي فيرون الحضارة: «تفنناً في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الأواني.. ويلزم لهذا التأنق صناعات كثيرة» ابن خلدون[1].

ويسمى هذا الاتجاه بالاتجاه المنظور وهو المعروف في عصرنا الحاضر، فهناك من يرى أن أسباب الترف والتأنق والراحة هي الحضارة وليست من لوازم الإنسان، ويعتبر هذا الاتجاه الأكثر تداولاً بين الناس في جميع الحضارات على اختلافها. بل إن الدول تقاس حضارياً بمقدار ما تقدمت به مادياً وليس روحانياً[2].

أما الاتجاه الذي جاء مغايراً فهو جاء على النحو التالي: «إن الحضارة هي القضاء على العدل والأخلاق وترك العنان لطبيعتنا الحرة لتفعل ما تشاء»[3]. فليسيكاس ونيتشه.

ونلاحظ أن أصحاب هذا الاتجاه فسروا الحضارة تفسيراً حيوانياً أو عداونياً.

أما الاصطلاح الأقرب إلى المفهوم الحضاري الإسلامي فهو: «القيم والأخلاق والعقيدة الخلاقة، والخصائص الإنسانية العليا التي

(١) المقدمة، ص٣٠٨.

(٢) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٣٨

(٣) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٣٨.

ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، وتكون دافعاً له إلى تسخير ما خلق الله فيما أمر به»(١).

«ليس ذلك إلاّ لأن إنسانية الإنسان هي قيمته العليا في الحياة، فيجب أن توضع موضع التكريم والاحترام، وعقيدته هي ميزاته وقوته الدافعة وقانونه في نفسه ومجتمعه، فيجب أن توضع موضع النظر والاعتبار، وتصرفه في المادة التي هي من نعم الله يجب أن يكون على شكل ما يحقق الإفادة والنفع.. عندئذ يكون الإنسان متحضراً. مشيداً لصرح من الاستقرار..»(٢).

أما تعريف الحوار الحضاري فيكون: هو تفاعل فكري ناشئ من احتكاك المبادئ والنظريات في ثوب من المطارحات والمناقشات والمناظرات الفكرية، وما يستتبع ذلك من قبول أحد الأطراف المحاورة نظريات الآخر أو رفضها أو طرحها للأخذ والرد.

وهو يعني: «ذلك التأثير العملي الحادث من هيمنة حضارة على حضارة وما يستتبع ذلك من تغير في مظاهر الحياة العملية وأشكالها وأنماطها بل وعناصرها كلها»(٣).

لذلك نجد أن الحوار هو وليد التفاهم والتعاطف والتجاوب حيث

---

(١) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٣٨.

(٢) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٣٩.

(٣) أحمد محمد العسال، حوار الحضارات، (القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٩٦م)، ص١٢.

لا يمكن أن يقاوم الحوار دون أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم دون ضغط أو ترغيب.

ويمكن أن يأتي تعريف الحوار الحضاري في المعنى الإسلامي:

هو دعوة الإسلام إلى التعارف والتواصل والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ومد الجسور معها بهدف إزالة كل الأحقاد والعصبيات، ومحو كل أشكال العنصرية والكراهية، ونزع بذور النزعات والصراعات مما يكفل فتح المجال الواسع للتفاهم والتحاور[1].

خاصة أن المستقبل يحمل ثورة معلومات وتقدم مذهل في وسائل الاتصال وهو ما سيجعل العالم أشد التصاقاً وتقارباً.

٢- اشتقاقات معاني الحوار في القرآن الكريم:

خص الله تعالى الإنسان بنعمتي العقل واللسان تكريماً وتفضيلاً له عن سائر المخلوقات، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٢).

وعن طريق اللسان والعقل، وبواسطتهما يستطيع الإنسان أن

---

(١) الواعي، الحضارة الإسلامية ، ص٤٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

يناقش أموره بشكل أفضل مع محيطه، وأن يتدارس مشكلاته ويشرح قضاياه ويدافع عنها. وهو في تخاطبه مع أبناء جنسه يتدارس أموره بشأن ما يثيره من قضايا فكرية واقتصادية. وهو الأمر الذي ينتج عنه تفاهم أو تعارض في وجهات النظر حول القضايا المطروحة.

فهو من خلال الحوار قد يصل إلى اتفاق كما قد يظل الاختلاف مطروحاً بين المتحاورين وفي هذه الحالة سيعمل كلا الطرفين على الدفاع عن قضيته وسيجادل بشأنها.. ومن خلال ذلك يقوم الترابط بين المشاورة (الشورى) والمحاورة والمجادلة والمناظرة.

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن في ثلاثة مواضع، اثنان منها في صيغة الفعل، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾(١) وكذلك: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾(٢) أما الموضع الثالث فجاء في صيغة المصدر، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾(٣).

كذلك وردت ألفاظ استعملت معنى الحوار بكلمة الجدال قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

(٣) سورة المجادلة ، الآية : ١.

هِيَ أَحْسَنُ﴾(1).

وفي سورة المجادلة الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾(2).

ونلاحظ أن الجدل يأتي بمعنى: مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة: المناظرة والمخاصمة قال تعالى، الآية: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(3) وفي موضع آخر: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(4).

وفي مضمون الآيات الكريمة نلمس الأمر الرباني بعدم الجدل في الباطل وإنما يكون الجدل لإظهار الحق. حيث يغلب على بعض المتحاورين الدفاع عن شخصه والاهتمام في حواره بتحقير من يحاوره وأحياناً اتهامه في قصده لذلك جاءت التربية الربانية تدعو إلى التزام المحاور بأدب الحوار.

ومما سبق ذكره يتضح أن كلمة الحوار استوعبت كل أنواع وأساليب التخاطب سواء كانت منبعثة من خلاف بين المتحاورين أو عن غير خلاف لأنها إنما تعني المجاوبة والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب.

كذلك نلاحظ أن الحوار أعم من الاختلاف ومن الجدل لأجل

(1) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(2) سورة المجادلة، الآية:١.
(3) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(4) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

ذلك كان للحوار معنى هو أنه لا يمكن أن ينشأ إلاّ بين الأطراف الراغبة في التعارف والتفاهم.

إذن للحوار معنى حضاري تتسع معانيه لكل أنواع التخاطب والسؤال والجواب. كذلك تدل الآيات على أن الحوار منهج إسلامي أصيل.

أما في السنة النبوية فقامت حوارات الرسول ﷺ مع المشركين وأهل الديانات المنحرفه على عدة قواعد هامة منها:

أولاً: توحيد الله.

ثانياً: تعميم مبادئ العدل والاتصال والاحترام المتبادل.

ثالثاً: تجنب أسباب التعصب والخلاف.

رابعاً: السير على منهجية إسلامية الغرض منها الوصول إلى الحق وليس مجرد الجدل العقيم الذي يوصل المحاور إلى هدفه قال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1].

لقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالحوار والتشاور والاختلاف والجدل ووضع أسس التخاطب والتشاور والتحاور وتبادل أوجه الرأي وإنهاء المنازعات بين الأفراد والجماعات عن طريق التفاوض، فجاء في الحوار بمنهج خالٍ من العصبية والشقاق.

وسوف نلمس ذلك من خلال المنظور الإسلامي للحوار الحضاري.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

٣- الحوار من منظور إسلامي:

أولاً: الحوار فريضة إسلامية:

تعتبر قضية الحوار في الإسلام فريضة شرعية اقتضتها دعوة الإسلام التي اعتمدت في رسالتها إلى العالم منطق الرفق واللين والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١).

ثانياً: أدب خلقي حضاري:

حيث يعد الحوار من أرقى الوسائل إلى إقرار الحق والعدل والمساواة في دنيا البشر ،فهو توظيف حيوي لملكات الخير في النفس البشرية كي تعمل دورها في الحياة للحيلولة دون انحدار البشر نحو الصراعات والحروب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٢).

والإسلام منذ ابتداء دعوته الكونية لم يضمر لأحد من الناس كيداً ولا ضغينة ولا حقداً، فالإسلام دين عالمي يريد لعالميته أن تستعيد

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥.

(٢) سورة فصلت ، الآية: ٣٤.

مكانها تحت الشمس، ولا يريد أن يدفع الشعوب الأخرى أن تأخذ بها قهراً وقسراً كما فعلت وتفعل حضارة الغرب.

كذلك نجد أن الإسلام عندما خاطب الكفار والمشركين وأهل الكتاب اعتمد منهجاً واضحاً خاصة عندما يناقش القضايا الأكثر حرجاً وتعقيداً، وذلك صيانة لمؤسسات التوحيد من الصد والشرك والكفر والإلحاد فرغم شرك المشركين لم يشأ الله (سبحانه وتعالى) التعرض إليهم بسب أو تجريح تلافياً لما قد لا يعود بالنفع على دعوة الله (عز وجل) في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

ولقد كانت منهجية الحوار الإسلامي تقوم على مراعاة الطرف الآخر في الحوار مع اختيار لغة الحوار وأسلوبه، ونجد ذلك في محاورة الإسلام لأهل الكتاب باعتبارهم أصحاب عقيدة وأهل نبوات يعملون بدورهم على غرس القيم في نفوس من حولهم إلاّ أنهم حاولوا دائماً وأبداً التحرش بعقيدة التوحيد الإسلامية، وبفكر ومناهج الإسلام الأخلاقية، فلما كان هذا حالهم أرشدنا الله تعالى إلى طريقة مخاطبتهم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٩.

ثالثاً: ترك الجدل العقيم:

إن الإسلام في إرشاده لنا لمخاطبة (أهل الكتاب) اليهود والنصارى اعتنى واهتم للوصول إلى اتفاق معهم ولكن دون خوض تفاصيل لا جدوى منها رغم عنايته بالأصول، ولقد كانت هناك عدة نقاط اشتركت فيها الدعوة الإسلامية مع أصحاب الديانات السماوية كانت رموزاً مشتركة لكلا الطرفين لتجمعها حول العقيدة، نذكر منها على سبيل المثال: اشتراك العقيدتين في الإيمان بالله واعتبار إبراهيم عليه السلام أباً لكل الأنبياء.

وهذا يدل على الرغبة الإسلامية الصادقة في النأي بآليات الحوار الحضاري عن أجواء الاختلاف والتوتر والعصبية.

إذن لابد لأصحاب الديانات السماوية أن يلتقوا حول النقاط التي تجمعهم في عقيدتهم دون الدخول في تصورات كل ديانة لما تراه صواباً، لأن ذلك سيفتح باب الجدل العقيم الذي يؤدي إلى فشل الحوار، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٣٥ -١٣٦.

وقد يكون ذلك الجدل عقيماً خاصة عندما يتناول موضوعات حساسة تمس العقيدة، فيحدث من المجادلات (اللاهوتية) ما يصل بها إلى مرحلة العقم، لذلك وجه الإسلام المسلمين إلى الطريقة الصحيحة عن طريق التوجيهات التي ذكرتها الآيات الكريمة أو مجادلة أهل الكتاب لرسول الله ﷺ.

رأي الإسلام في الجدل العقيم:

كانت للرسول ﷺ محاورات ومجادلات مع المسلمين وأهل الكتاب من يهود ونصارى ظهرت خلال الآيات في القرآن الكريم، نذكر منها:

قوله لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[(١)] فما أجابوه جواباً.

نجد من خلال الآية ما انتهى إليه الرسول مع اليهود في جدلهم معه أنهم لم يستطيعوا أن يُحيِّروا جواباً عندما ظهرت الحجة عليهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[(٢)] وألد الخصام هنا ذو

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤-٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

الجدال، إذا كلمك وراجعك رأيت لكلامه طلاوة وباطنه باطل، وهذا يدل على أن الجدال لا يجوز إلا بما ظاهره وباطنه سواء... روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصيم»[1].

ومما سبق تتضح نظرة الإسلام إلى الحوار، تلك النظرة الموضوعية القائمة على احترام الرأي الآخر ونبذ كل تعصب، وتبين موضوعية الإسلام في موقفه من الجدل العقيم أنه ينبذ الجدل غير المجدي حتى وإن صدر من طائفة مؤمنة، قال تعالى، الآية: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[2].

أما الجدل العقيم إذا صدر من طائفة غير مؤمنة، فإن الحق سبحانه يقول: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3].

والإسلام في دستوره الإلهي ينبذ الجدل بالباطل فيقول تعالى:

---

(١) ابو حجر أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، صحيح البخاري، ط١، ج٧، (مصر : دار مصر للطباعة، ٢٠٠١م)، ص٣٥١.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٥-٦.

(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٥٧-٥٩.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾(1).

بل إن الإسلام ينهى عن الجدل الذي يصل إلى حد الخيانة قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾(2).

وقال لهم: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب﴾(3) أي إن كنتم عبدتم ولداً من غير أب فخذوا ولداً دون أب ولا أم وهذا حوار الرسول ﷺ مع النصارى عندما سألوه عن رأيه في عيسى عليه السلام.

وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾(4).

---

(1) سورة الأنعام، الآية : ١٢١.
(2) سورة النساء، الآيات : ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.
(3) سورة آل عمران، الآية ٥٩.
(4) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

نجد أن الرسول ﷺ استـخدم في حواره مع أهل الكتاب نقطة التقاء في كلتـا الديانتين، وهي الإيمان بوجود الله مما يدل على أن حوار الأديان إذا كان لابد أن يكون في العقيدة، فإنـه يكون فيما اتفقت عليه الأديان أمـا المجادلات الكلامـية فـهي عقـيمـة ولا فائدة منهـا إلا لمن استطاع إيضاح الحجة بالحجة.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾(١).

وهكذا تتابعت حوارات الرسـول ﷺ مع أهل الأديان السماوية وذلك لأنهم أصحاب عقيدة آمنوا ودافـعوا عنها فكان لابد من استخدام العقل والفكر في مـجال الحوار، إذاً بذلك أقام الإسلام صـرحاً للحوار وعلى أسس أصيلة من العدل تعطي للإنسـان حق الدفاع عن نفسه وعن رأيه وموقـفه نحو أسرته ومـجتمعه، قـال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢).

أما عندما يختلف المتحاورون في الوسيلة التي تطرح موضوعات الحوار فقد وضح الإسلام ذلك من حيث العـودة لاحترام قواعد الحوار التي سـبق أن ذكرناها، لأنه ليس بالضـرورة أن ينتهي الحـوار بتوحـيد

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٢) سورة النحل ، الآية : ١١١.

الرأي فالأمر قد يفضي إلى اختلاف وجهات النظر لأن ذلك من اختلاف طبائع العقول، يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(١).

رابعاً: التعارف طريق للحوار الإيجابي:

إن الله تعالى حينما نوع الأجناس، لم يرد أن تتناكر وتتخالف ولكن أراد أن تلتقي وتتآلف، والخلق من ذكر وأنثى يعني أن الحياة إنما تنتج من التقاء الأنواع المختلفة، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

ولأن الإسلام دين عالمي يرى أنه لابد من إيجاد قنوات الاتصال بالآخرين للتعارف والتعاون والتفاعل الإيجابي، بهدف خلق التوازن في الحياة وإيجاد نقطة التقاء، وفي ذلك نذكر قوله جل وعلا: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) سورة فصلت ، الآية: ٣٤.

خامساً: إبرام المواثيق والمعاهدات:

نجد أن الإسلام يعمل في جوانب إيجابية عديدة ومن خلال محاور مختلفة فإن من رفض لغة الحوار والالتقاء أوجد بشأنه العهود والمواثيق.

ونضرب مثالاً لذلك المدينة المنورة التي كانت خليطاً من الملل والأعراق والعصبيات، فاتجه النبي ﷺ إلى وضع «ميثاق التحالف»(١) الذي حدد معالم الوحدة الاجتماعية وذلك بعد أن قام بعقد المؤاخاة بين المؤمنين وأزاح به حزازات الجاهلية.

كما أنَّ ما وضعه النبي ﷺ من مواثيق ومعاهدات مع أصحاب الرسالات وأهل الذمم والعهود دليل على تصورات الإسلام الهادفة للتعايش الحضاري معهم، قال ابن إسحاق: «وكتب رسول الله كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم»: «إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وأنَّ الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله»(٢).

---

(١) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط١، (بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٩م)، ص٢٣٩.

(٢)أبو محمد عبد الملك ابن هشام المعافري، السيرة النبوية (المعروفة بسيرة ابن هشام)، ضبط وتحقيق: محمد علي القطب ومحمد الدالي بلطه، (د.ط) ج٢، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م)، ص ص ١٢٨-١٢٩.

وبإبرامهم هذا الميثاق صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية عاصمتها المدينة، والرسول الكريم رئيسها - إن صح التعبير-[1].

ولأن الإسلام دين العالمية جاءت رسالته لتشمل عوالم أخرى دون أن تكون عقيدة السماء حكراً على أحد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

كما أن للإسلام تعاليم تقرب بين المسلمين وأصحاب الديانات السماوية فقد أباح مؤاكلتهم والأكل من ذبائحهم والتزوج من نسائهم المحصنات العفيفات فكانت ربة بيت المسلم وشريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة.

فهذا إن دلَّ فإنما يدل على رغبة الإسلام القوية لتدعيم التعارف والتقارب بين المسلم مع غيره خاصة ذوي الأديان (المسيحين أو اليهود) ولكن بشرط إلاَّ يصل الأمر إلى حد مودتهم ونصرتهم على المؤمنين.

سادساً: إبقاء الصراع إلى المرحلة الأخيرة من الحوار:

إن الإسلام يدعو المسلمين إلى التحرك عندما لا تفلح وسائل الحوار ولكن يجعله آخر الحلول، فإذا ما نقض (اليهود والنصارى) العهد وخرقوا الذمم حينئذ يرى الإسلام ضرورة إعلامهم إلى حال الحرب، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(1).

وفي إعلامهم فرصة لتجديد الرأي والمشاورة والعقل للعودة إلى الحوار ولأن الله لا يحب الغدر. حتى إذا حمي وطيس المعركة شرع الإسلام إلى الاستجابة لمبادرات الأعداء. فكان بذلك قد فتح طريقاً آخر للحوار ومراجعة النفس والاستجابة لنداء العقل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(2).

وهكذا نجد أن الحوار منهج رباني ضروري للبشرية حتى تلتقي على كلمة التوحيد والمحبة والسلام ومنطق الحق والعدل والرحمة والحرية وحسن الجوار والأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(3).

٤- تعدد الحضارات:

تعددت الحضارات واختلفت في ذاتها، ولكل حضارة شيء ما

---

(1) سورة الأنفال، الآية ٥٨.

(2) سورة الأنفال، الآيتان: ٣٨ ، ٣٩.

(3) سورة المائدة، الآية: ٢.

يميزها عن غيرها من الحضارات. إلاَّ أن الحديث قد كثر عن هل لكل حضارة أسس تقوم عليها، ومرتكزات تحدد سماتها، ومسار يمضي ضمن سياق خاص؟

إن الإسلام يرى في اختلاف الأجناس والألوان وتباين الطبائع وتعدد المواهب والقدرات حكمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(١).

ولعل هذا الاختلاف يحقق للبشرية قدراً من طموحاتها وتطلعاتها إلى التنمية الحضارية من خلال التعاون والتفاعل الإيجابي فيما بعد بين يدي بني الإنسان من معطيات السماء المادية والروحية والثقافية والأخلاقية.

ويؤيد ذلك الرأي ما أورده كل من الفيلسوف الألماني أوزفلد شبنجلر (١٩٣٩م) والمؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي (١٩٧٥م).

كان رأي شبنجلر كما بدأ في كتابه: انحدار الغرب (The Decline of the West): «إن الرأي القائل بحضارة إنسانية واحدة تسير في خط مستقيم ينقسم إلى عهود قديمة ومتوسطة وحديثة، رأي صادر عن العقلية الأوروبية الغربية المحدودة ضمن أفقها المحدود، والمعجبة بإنجازاتها والتي تحصر الحضارة في ذاتها وتنصرف عن الحضارات

---

(١) سورة المائدة الآية: ٤٨.

الأخرى وتنظر إلى تطورها، وكأنه تطور الإنسانية بكاملها وإلى عهودها الحديثة وكأنها أواخر مراحل التقدم أو خاتمتها..»(١).

ويقول: «إن لكل حضارة تاريخاً وأن تاريخها هو تاريخ النفس الأولية وأنه لا يمكن البتة أن تكون ثمة حضارات متماثلة كل التماثل»(٢).

وبذلك يعلن شبنجلر رأيه بتعدد الحضارات واستقلال كل حضارة عن الأخرى في ذاتها من حيث ما تميز به كل حضارة في اتجاهاتها وإنجازاتها واختلاف الزمان والمكان.

أمّا توينبي فقد سار على ما سار عليه شبنجلر في رفضه اعتبار الحضارات متوالية مستقيمة الخط من حوادث وأحداث (Liner Pro-gression)(٣).

إذن كل حضارة لها خصائصها التي تنفرد بها عمن سواها، فليس ثمة نظام سياسي واحد ولا اقتصاد واحد ولا عقائد أو أخلاق إنسانية واحدة حتى العلوم تابعة للحضارات ومختلفة باختلافها.

---

(١) ف. كوول، التاريخ والحضارة، ترجمة: أحمد الشيباني، ط١، (جدة: مؤسسة عكاظ، ١٩٩٢م)، ص٣٣.
(٢) كوول، التاريخ والحضارة، ص٣٤.
(٣) كوول. التاريخ والحضارة. ص٣٤.

٥- مكانة الحضارة الإسلامية بين الحضارات:

إن لكل حضارة روحاً تسري فيها، وطابعاً عاماً يميزها ومظاهر تتجلى فيها وكلها مستمدة من تصور أهلها للوجود والكون والحياة والقيم، ومن تكوينهم كأمة لها خصائص حسية ومعنوية، ومن شعورهم بذاتيتهم ورسالتهم في الحياة ومن ظروف حياتهم ومكانهم في التاريخ.

إن اختلاف الأمم يكون في روحها وحضارتها التي تتشكل بعوامل ترجع إلى طبيعية الأمة وظروفها، وإذا انتهجت الأمم الصلاح في حضارتها فسيكون بدافع وتوجيه من مدبر الكون الله عز وجل.

ونحن عندما نتأمل في الحضارات الكبرى نجد أنفسنا أمام تنوع لا حدود له فهناك حضارة الروح دافعة لها لكن مظهرها يغلب عليه النمط الفني[١] فهي بالفنون تعبر عن ذاتها تلك حضارة مصر الفرعونية.

أو حضارة تملك تنظيماً اجتماعياً بحسب مبادئ العدالة والمحبة وإرساء العلاقات الاجتماعية، قامت أسس حضارتها على التربية الأخلاقية والتنوير الفكري والقدوة الحسنة ولكن دونما بحث عقلي حول حقائق الأشياء[٢] مع إدراك بوجود رقيب ومشرف أعلى، تلك حضارة الصين الكنفوشسية.

---

(١) سيد عبد المنعم، حضارة مصر الفرعونية، (د.ط.)، (القاهرة: دار المعرفة، ٢٠٠٠م)، ص١٧٢.

(٢) ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ص١٦.

أو حضارة تسري فيها روح التشكك في هذا العالم فترى أنه وهم كما ترى في الوجود الإنساني شراً وألماً وترسم الطريق للخلاص منه فتنتقل النفس البشرية إلى عدة صور فتقول بالتناسخ والحلول تلك الفلسفة الهندية(١).

أما حضارة الشعب المفكر المرهف الحس الذي يرى أن مقياس الأشياء لايكون إلا بالعقل فأنشأ تصوراً للكون قائماً على القياس العقلي بنزعة خيالية أو يمكن أن نقول لوحة فنية أو منظومة شعرية فقاس ذلك على كل نواحي الحياة، تلك كانت الحضارة اليونانية (الإغريقية)(٢).

وحضارة شعب عملي طموح شديد المراس يتميز بروح الإقدام ويربي نفسه على احتمال المشقة كما يتميز بروح عسكرية فيعمل على تنظيم حياته بالقانون والسيطرة الواسعة لكي يسود الشعوب بسلطانه فيرى القوة مقياساً ويرى حضارته حضارة السيادة، كانت تلك الحضارة الرومانية(٣).

---

(١) محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة، (د.ط)، (القاهرة : دار الشعب، ١٩٧٠م). ص١١.

(٢) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، (د.ط)، (الدار البيضاء: دار الرشاد. ١٩٨٠م)، ص٣٠.

(٣) سعيد عاشور، حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، (د.ط)، (بيروت: دار النهضة، ١٩٧٦م)، ص٨٧.

هكذا نجد أن اختلاف روح الحضارات نابع من تصوراتها ومفاهيمها ومواهب أهلها وهو ما لم ينكره الإسلام عليها بل إن في ذلك التنوع ما قد يعود بالخير على الإنسانية.

كما أن نماذج هذه الحضارات لا تتحدث حديثاً خاصاً عن أنها تصدر عن رسالة محددة تعينها الإرادة العليا (الله عز وجل) حيث يكون إنشاء الحضارة تكليفاً من تلك الإرادة، وأمانة مقدسة عهد بها إلى الإنسان وهو مسئول عنها في مستقبل حياته. كما أن من بين الحضارات ما يمكن أن نطلق عليه مسمى حضارات محلية لا تتجاوز حدود بلادها.

أمّا أصحاب الحضارات ذات الديانات السماوية فلكل منها صيغتها ومجرى تاريخها وتأثيرها على الغير.

فهي جميعاً تشترك في أمور جوهرية منها الإيمان بالخالق (عز وجل) ووجود الأنبياء والرسل. إلاّ أنها تختلف في تصورها لهذه الأمور، كما تختلف في الروح ومنهج الوصول إلى المعرفة والهدف منها. إضافة إلى الإعتماد على العقل والعلم وتسخيره مع نظرة مختلفة لكل منها في تصوراتها لنواحي الحياة الإنسانية.

وفي ذلك نذكر قول (يوسف هل) في كتابه «حضارة العرب» «تتسم الأديان كلها بأنها تطبع تاريخ الإنسانية بطابعها، والمؤسسون والأنبياء والرسل لهم نصيبهم في حضارة عصرهم وشعبهم غير أنه لم

يتهيأ لأية ديانة البتة أن تصير دفعة واحدة أولى أو على نحو سريع ومباشر لحدوث تغيرات حركت الدنيا كما صار الإسلام. كذلك لم يتهيأ لمبلغ دين إلى المدى الكامل أن يصبح سيد عصره وشعبه كما أصبح محمد (عليه الصلاة والسلام) لذلك فإنه من المستحيل كلية أن ندرك تطور الشعب الذي صار بفضل الإسلام حاملاً للحضارة وناشراً لها من غير أن نعرف التعاليم التي كانت تقوده، يستحيل فصل تعاليمه عمن جاء بها، فالعلاقة بين الشخص والتعاليم ، وبين التعاليم والسياسة وبين السياسة والتقدم الحضاري هي في بناء الإسلام»[(١)].

وهكذا نجد أن الإسلام وحضارته التي صنّعها أهّلته إلى إمكانية صناعة حضارة عالمية واحدة. لذلك لابد أن نتعرف على عناصر بناء الإسلام الحضاري الذي ميزه عن بقية الأديان وميز حضارته عن بقية الحضارات.

٦- عناصر بناء الحضارة الإسلامية:

إن كل بناء حضاري يحتاج إلى أساس وفكر أو إيمان وهو روح الحضارة وسر بنائها. والإسلام بجميع جوانبه أساس للحضارة الإسلامية والمؤمن بروحها الذي شرع في البناء هو الأمة العربية والمنفذ هي الأمة الإسلامية.

---

(١) يوسف هل، حضارة الغرب، ط١، (الدوحة: لجنة المؤتمر العالمي، ١٩١٩م)، ص ص ٢٥ - ٢٦.

ونذكر هنا أننا خصصنا الأمة العربية بالروح وذلك لخروجها ومعها الإسلام واللغة العربية. إضافة إلى ما تمتع به المسلمون العرب من الأخلاق الفاضلة التي هي أساس صفات العرب في الجاهلية، والتي عمل الإسلام على تهذيب الخصال السيئة منها.

ولقد كانت حوادث التاريخ ولقاء العرب المسلمين القائمين بأهل الحضارات الأخرى لخير دليل على ذلك.

٧- مميزات الدين الإسلامي:

أ- مفهوم الإسلام وتأثيره:

إن من ينظر إلى مفهوم تسمية الإسلام بهذا الاسم يلتمس ميزة هذه التسمية والتي تتسم بالدين والتدين.

فالإسلام هو «الإسلام بالله» إسلام الذات من وجوه شتى لا بمجرد الطاعة والانقياد وحسب بل الاستجابة لأمر الله اختباراً مع الصدق والأخلاق في ذلك وتبرئة العقل والقلب من كل الشوائب مع منتهى التعظيم والإجلال والمحبة لله، بحيث يكون للإسلام في الظاهر سلوك في الباطن. ونجد أنه من خلال التسمية وصل الدين والتدين إلى المفهوم لتعبر عنه.

والإسلام باعتباره موقفاً فكرياً ونفسياً للإنسان يجعل الإنسان يرى الكون جميعه مسلماً لله بكل أجزائه من سماواته وأرضه ومخلوقاته، يراها في ذهنه في حالة تسبيح دائم. فكان ذلك مما يهيئ

له سبل الاطمئنان والاستقرار النفسي. وفي الإسلام أمور كثيرة تعمقت في عقل المسلم وقلبه وكان لها تأثير على طريقة تفكيره وتصوره حتى تجلت في سلوكه.

لذلك لا يوجد فرق بين الإسلام كدين، والإسلام كثقافة لأن الدين الإسلامي هو أصل الثقافة الإسلامية.

ب- نظرته للكون:

عندما نظر الإنسان إلى الكون اضطربت أفكاره حتى زعم بعض منهم أنه وهم (فلسفة الهند) ومن رأى أنه أزلي أبدي (فلسفة اليونان).

أما الإسلام فيرى العالم واحداً من عوالم كثيرة هو «عالم الشهادة» أي العالم المدرك بالحواس أو «عالم المُلك» كما يدل على ذلك لفظ «عالم» وصنع بديع يتجلى فيه الاتقان والجمال ويدل على القدرة التي أبدعته، والحكمة التي صدرت عنه والعناية الشاملة لكل شيء فيه. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[١].

والقرآن يشير إلى تعدد العوالم، قال تعالى: الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢] والعالم كبير جداً بحيث إن كل المجموعات الكوكبية والنجومية التي نرى بداياتها هي عبارة عن زينة لما يسميه القرآن «السماء الدنيا».

---

(١) سورة الفرقان: الآية : ٢.
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

وكل شيء في العالم له أجل مسمى أي له قانونه. أما من حيث المنهج العقلي فقد بين القرآن أهمية العقل أمام مهمة استعراء العلم وفي القرآن مواضع عديدة تدعو إلى التفكير والتدبير قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[1]. وكيف أن الله سخر لنا ما في السماء والأرض وكيف مكن للإنسان في الأرض وذلّلها له، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[2].

وبذلك يكون القرآن قد فتح أمام الإنسان طريق الاستدلال لمعرفة صانع الأشياء، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[3] وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4].

يقول شلبي: «ونتيجة لمعرفة الله (جل وعلا) يجب أن نعبده كما أراد وأن نربي أخلاقنا وأهلينا على طاعته»[5].

ج- حب المعرفة:

غرس القرآن في قارئه حب المعرفة والعلم ورفع شأن العلماء

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٥) شلبي، صراع الحضارات، ص١١٣.

وتعظيم الحكمة، وأن من نظر إلى العالم وآياته والنفس الإنسانية وأسرارها يرى بروح اليقين والبرهان على أساس من العقلانية قدرة الله حيث إن الإنسان مسئول عن حواسه وعقله وعما يعتقد، قال تعالى: الآية ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[1].

ولاشك في أن حضارة الإسلام العلمية والفلسفية ترجع في الباعث عليها وفي كثير من أصول المعرفة إلى توجيهات القرآن وقراءة كتب العلم عند المسلمين.

لقد كان الباعث الأول هو آيات القرآن الكريم باعتباره باعثاً وحافزاً وقائداً لهم، فكلما زاد الإنسان تعمقاً لها زاد معرفة، وكان ذلك سرَّ النهضة العلمية الإسلامية.

د- التوحيد وتأثيره:

الإسلام في حقيقته دين الإيمان بالتوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة، فالله هو الخالق الذي لا خالق غيره وهو دين الإيمان بالتنزيه الكامل لله عن كل ماشابهه لما يعرفه الإنسان أو يتصوره.

والله يدبر هذا العالم بالحكمة والرحمة المحيطة بكل شيء، ومفهوم الألوهية في الإسلام هو أعلى مفهوم في العقل، حيث يرفع من مستوى تفكير الإنسان إلى التصور، أساسه وجود إله واحد حق يمسك بقدرته نظام السماوات والأرض. هذا بدوره يجعل من عقيدة

(١) سورة الزمر، الآية ١٨ .

التوحيد منهاجاً كاملاً للحياة، تقوم عليه حياة الأمة المسلمة قال تعالى: الآية ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١].

ولأجل ذلك جاءت عقول المسلمين مفطورة على عبادة الله متضافرة على تعمير الأرض وإنشاء الحضارة فيها، فجاء الإيمان بالله.

هـ- نظرته للإنسان:

نظر الإسلام نظرة شاملة من جميع النواحي في وجوده وحقيقته ورسالته، فوضعه في أعلى المراتب.

وفي الإنسان نفحة إلهية، قال تعالى: الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢] والله أفرده بعلم من عنده، قال تعالى: الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.

(٢) سورة الإسراء : الآية : ٨٥.

(٣) سورة البقرة: الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣.

وجعل له كرامته بين المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(١) وجعله خليفة في الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢) لكي يعمرها والله أعده لحمل الرسالة.

والإنسان جاء إلى الأرض صاحب أمانة عهد الله بها إليه، هي عمران الدنيا والتمتع بها بالحق والعدل، وهذا هو مفهوم الحضارة الإنسانية. يقول الواعي: «جاء الإسلام بنشء أمة ونظّم مجتمعاً وبنى عالماً ونظّم نظاماً، جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها.. إنما العقيدة وحدها هي الرابطة..»(٣).

فإذا تفطنا إلى أن الإنسان جاء معداً لحياته بعد أن تلقى الأمر أدركنا أنه جاء بلا عقد ولا مشكلات لأن هذه هي طبيعة حياة الإنسان وطبيعة بناء الحضارة على الأرض.

لأن الحضارة اجتهاد إنساني وسط المعاناة ويستطيع الإنسان أن يكون فخوراً برسالته وأن يُقبل عليها متفائلاً مستعداً للكفاح والجهاد.

وهكذا نجد كيف أن الله أعد حياة الإنسان، ليعتبر أولها بآخرها لذلك نجد خلفاء وحكام المسلمين عملوا على عمارة الدنيا في تاريخهم وتاريخ الإنسانية.

---

(١) سورة الإسراء : الآية: ٧٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

(٣) الواعي، الحضارة الإسلامية، ص٢٢٥.

و- نظام القيم الإسلامية:

نظام القيم العليا أهم ما تتسم به الحضارات الراقية الكبرى وهي معايير نستطيع من خلالها تقدير الأشياء، قال تعالى: الآية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١) ومن الأخلاق والقيم الرسالة الإسلامية، نرى في رسولها القدوة الحسنة والمثل الأعلى رؤية الحق، إذا كان الحق هو محور القرآن وهو الحق في الوجود وهو الله تعالى، والحق في المعرفة هو العلم بالأشياء والكلام عنها كما هي، فإن القرآن يدور حول الحق بمعناه المطلق.

والقرآن ينبه إلى الجمال في هذا العالم جمال السماء بنجومها وكواكبها وجمال الأرض بزينتها. وجمال ما صنع الله من مخلوقات.

أما الخير فقد أقبل المسلمون في حضارتهم على خيرات الفكر بطلب العلم وعلى خيرات الروح بالعبادة إلىٰ حد الزهد والتصوف الرفيع، وعلى خيرات الدنيا بأن أخذوا منها ومن زينتها بأوفى نصيب قال تعالى: الآية ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

أما نظرة التقييم، فقد نظر إليها بمعيار النفع والعطاء، ونظر إلى

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠١.

المجتمعات بمنظار ما فيها من قيم ومن مساواة وعدالة وحرية وأخوة واتحاد وتعاون وفضائل فإذا اكتملت هذه الصفات، أصبحت لدينا نماذج للإنسان المتحضر والمجتمع الحضاري[١].

أمّا إذا كان الإنسان غير حضاري وإن عاش في الترف والرقي الزائف فإن الإسلام لا يعده بمفهومه من التحضر شيئاً، لأن الإسلام لا ينظر إلى مظاهر وزخارف الحياة الدنيا بمقدار ما يرى واقع نموذجه الإنساني الحضارى.

وبذلك استطاع العرب المسلمون أن يبلغوا جميع الحضارات السابقة لهم رسالة الإسلام.

ولما كان هدفهم عمران الدنيا باسم الله لم تكن تستقر دولتهم حتى شدوا الهمم، وأقبلوا على العلم بإيمان صادق فبنوا الحضارة التي اشترك معهم في بنائها جميع الأمم التي اسلمت من جميع الحضارات السابقة لهم حتى استطاعت أن تكون في ذلك الوقت حضارة واحدة، حضارة التقاء مع الحضارات الأخرى، حضارة عالمية إسلامية.

وبذلك يكون الإسلام قد قام بنقل الحضارات السابقة له نقلات حضارية[٢]، من النقلة الاعتقادية حيث تعددت المعبودات إلى توحيد الله، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن تقديس الأحجار

---

(١) الواعي، مقارنة الحضارة، ص٢٤٣.

(٢) العسال، حوار الحضارات، ص ص ٢٠ -٢١.

والأصنام إلى محبة الحق وكسر الحاجز المادي، وجعل الإنسان ينظر ويتطلع إلى عالم الغيب، قال تعالى: الآية: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(١).

أما النقلة المعرفية فهي عمل في صميم العقل من أجل إعادة تشكيله، فأصبحت تدعوه للتأمل والتفكر والبحث وكذلك جعلت الكشف عن السببية والأخذ بشروطها حتى تهتدي إلى الإبداع الموصل لليقين بقدرة الله.

والنقلة القانونية التاريخية بينت أن تاريخ البشرية ملحمة متصلة تضبط سيرها سنن ونواميس لا تختلف ولا تتبدل، ولا مجال للصدفة فيها فالخلق كله محكوم، قال تعالى: الآية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٢).

ولقد كان من إعجاز القرآن إخباره عن الأمم الغابرة والحضارات البائدة، قال تعالى: الآية ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٦ -١٧.

آتيناك مِن لَّدُنَّا ذِكْراً﴾(١).

كان الهدف من هذا القصص هو أخذ العبرة والعظة قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(٢).

وجعل الله ابتلاء الإنسان بخلافته في هذه الأرض ليعمرها بإصلاح العمل وإحسانه، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(٣).

وتكون النتيجة إما عملاً صالحاً أو سيئاً ومن هنا تأتي الذنوب والسيئات التي هي بمثابة أمراض في المجتمعات تفتك بها حينما تغيب عنها الأخلاق والفضائل فيحل بها العقاب والجزاء قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾(٤).

والقرآن لا يبخس الحضارات حقها فيما أنجزته من عمران لكنه يبين أهمية الجانب الأخلاقي الذي يحفظ الإنسان صانع الحضارة.

حيث تشترك جميع الحضارات في عوامل هدفها الحفاظ على

---

(١) سورة طه، الآية: ٩٩.

(٢) سورة يوسف، الآية، ١١١.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

الأخلاق (القيم، الشرائع، المعتقدات) التي هي أساس بقاء المجتمعات. والقرآن عرض لنا عدة قصص لمجتمعات انهارت بسبب تدهور أخلاقها وقيمها رغم ما شيدته من عمران مادي وحضاري.

لذلك جاء الميزان الذي يزن به الإسلام الحضارات هو مدى قربها أو بعدها من عقيدة التوحيد ومن قوانين الحق والفطرة والتزامها بقيم العدل وحضها على محاسن الأخلاق والعادات وبعدها عن جرائم الظلم والتسلط[1].



(١) العسال، حوار الحضارات، ص٣٦.

الفصل الثاني

الحضارات صراع أم حوار

ويحتوي على

(١) الحوار - الصراع الحضاري من منظور غربي.

(٢) دوافع الغرب من الصراع.

(٣) تفسير الرؤية الإسلامية لدوافع الغرب من الصراع.

(٤) أزمة الحضارة الغربية المعاصرة.

(٥) العوائق التي تواجه الحوار الحضاري.

(٦) عوامل نجاح الحوار الحضاري.

١- الحوار - الصراع من منظور غربي

إن استخدام لفظ (حوار الحضارات Dialogue of Civilization) يقابله لفظ (صراع الحضارات The Clash of Civilization) الذي يستخدم عند الغرب لتفسير السجل التاريخي العالمي وهو استخدام حديث وناشئ، وقد بدأ استخدامه لدى الماركسيين حيث كان الجدل التاريخي هو اللفظ الأكثر شيوعاً وتداولاً.

حتى أصبح الصراع بين الحضارات أمراً طبيعياً، بل من الواجب تحققه لاستمرار مسيرة التاريخ، إذ لا يمكن تصور التاريخ إلاّ على أنه صراع حضارات مختلفة.

ثم تحول لفظ صراع إلى معنى صدام لدى الفكر الألماني (النازي) بمعنى صراع ثقافي وحضاري وسياسي، وسمي صراع الثقافات (Kal-tur Kampf) وكان أول ظهور لهذا الصراع الثقافي في كتاب (Daw-san C.H) باسم (The Dynamics of world history) وبناء عليه بدأت نظريات الصراع تأخذ محورها النظري حيث تؤكد الماركسية على صراع الطبقات في الأربعينات والخمسينات، وعلى أثره قامت نظرية «صراع الأمم».

وفي عام ١٩٤٧م جاء أرنولد توينبي المؤرخ الإنجليزي يتبنى النظريات الماركسية ويحولها إلى رأسمالية وذلك في محاضراته التي ألقاها بعنوان: «الصراع بين الحضارات» في كلية برين مور حيث قامت

وسائل الإعلام ممثلة في مجلة هاربر عام ١٩٤٧م بتبني النظرية ونشرها ثم تحولت إلى فصل في كتاب توينبي، المعروف باسم الحضارة في الميزان (Civilization Trial)[١].

إن توينبي ينظر إلى تاريخ الحضارات على أنه صراع بين الحضارات وأن هذه الحضارات إنما تقوم على الدين كمعتقد رئيسي ومرجع أساسي في قيام الحضارة. حيث يعتبره الملاذ الوحيد الذي لجأت إليه الأغلبية على مدى تاريخ الحضارات، فيقول: «إن الحضارة وسيلة أما الدين فغاية، وأن قيام الحضارات مرده إلى الأديان»[٢].

وقد كانت هذه المحاضرة المرجع الأساسي لكل النظريات القائمة على حجة الصراع بين الحضارات.

لذلك يرى مفكرو الغرب وساستهم في مفهومهم للعلاقة بين الحضارة الغربية والإسلام علاقة صراع بدأت منذ أربعة عشر قرناً أي منذ الأيام الأولى للإسلام وأن هذا الصراع مستمر إلى وقتنا الراهن. وهو يربط بين الجهاد والحروب الصليبية. ويرى في الفترات التاريخية المتعاقبة مسرحاً للصراعات بين الغرب والمسلمين حيث أصبح الأمر إرثاً تاريخياً من العداء وعنصراً ثابتاً في المفهوم الغربي الذي صور الإسلام فيها العدو الأول الذي لم يسقط إلا بسقوط الدولة العثمانية أما الدول

---

(١) رضوان زيادة، صدام الحضارات هاجس الصراع، (مجلة شؤون الأوسط). العدد ١٠٤، السنة: ٢٠٠١م، ص٢١١.

(٢) كوول، التاريخ والحضارة، ص٣٠.

الأوروبية فقال برنارد لويس[1] في محاضرته التي ألقاها عامي (١٩٨٩م/ ١٩٩٠م) عن الصراع الحضاري مع الإسلام: « ولكن طول الثلاثمائة عام الأخيرة منذ اندحار الحصار التركي الثاني لفيينا عام ١٦٨٣م وبروز الإمبراطوريات الأوروبية الاستعمارية في أوروبا وإفريقيا تراجع الإسلام إلى الوضع الدفاعي»[2].

كذلك وضع مقالة سمّاها «جذور الغضب الإسلامي» في عام ١٩٩٠م في اتلانتيلي مونتلي استخدم فيها تعبير «صراع الحضارات» حيث اجتهد في تلك المقالة واصفاً غضب المسلمين بأنه لا يعود إلى إرث الغرب الاستعماري، وإنما ينسب الغضب الإسلامي إلى كون الحضارة الغربية تهديداً لأسلوب الحياة الإسلامي.

إلاّ أن هذا المفهوم الغربي نال التطور على يد فرانسيس فوكوياما

---

(١) برنارد لويس مستشرق بريطاني الأصل، يهودي المعتقد، صهيوني الفكر، أمريكي الجنسية له إسهامات كثيرة في مجال الاستشراق، سيطرت على كتاباته النزعة الصهيونية التي صرح بها وأظهرت كتاباته أقرب إلى الطريقة الإعلامية أكثر منها للكتابة العلمية المنهجية، من مؤلفاته: الإسلام والغرب، (صدام الحضارات) صدى لما كتبه زميله صموئيل هنتقتون عنوانه (المسيحيون والمسلمون واليهود في عصر الاكتشافات) وكتب حديثه منها: الشرق الأوسط وتركيا الحديثة ومستقبل الشرق الأوسط www.alwatan.com

(٢) محمد إبراهيم مبروك، الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار، ط١، (القاهرة: مركز الحضارة الإسلامية، ٢٠٠٢م). ص١٤.

بعد سقوط الشيوعية حيث جاء ليصف الإسلام بالفاشية في كتابه (نهاية التاريخ، نهاية إنسان وذلك عام ١٩٩٢م)، وعبر مقالة له كتبها عام ١٩٨٩م. وذلك من خلال نظريته التي ألبسها ثوباً علمياً استراتيجياً، فمثلاً حين حلل فوكوياما علاقة العالم الإسلامي بالغرب ذكر: «أن المشكلة بينهما ليست محصورة في مجموعة من الإرهابيين بل هي تتسع لتشمل عامة الراديكاليين الإسلاميين الذين وصفهم بالأصوليين الذين يرفضون الحداثة والعلمانية». أما حين أراد أن يصف النظام الغربي بالكمال، وأنه ليس هناك من يستطيع أن يواجهه إلاّ عدوه التاريخي القديم فقال: «إن هناك عدواً قادماً للحضارة الغربية هو الإسلام.. لأنه نظام قائم على عقيدة فهو أيديلوجية ستصبح هي النقيض للأيديلوجية الغربية، وبالتالي لابد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر لأن العالم لن يستمر في حالة صراع بين العقيدتين: الغربية والإسلام»(١).

نالت نظرية فوكوياما اهتماماً كبيراً في أوساط المفكرين الغربيين في جميع الدول الأوروبية سواء على المستوى الأكاديمي أو السياسي.

حيث ظهرت تعبيرات الرئيس ريتشارد نيكسون الأمريكي في كتابه « انتهزوا الفرصة أو الفرصة السانحة» الذي كتبه بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٢م وأثناء مرحلة سقوط الاتحاد السوفيتي هدفاً إلى

---

(١) رجب البنا، الغرب والإسلام، ط٢، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م)، ص٢١٢.

إظهار الحضارة الغربية ممثلة في (أمريكا) وحيدة على عرش العالم، إذ لا يوجد أي حضارة تستطيع منافستها بل إن دور كل الحضارات السابقة قد انتهى بتربع أمريكا على قمة الهرم الحضاري بل إنه يدعو الساسة الأمريكان لأن يحاولوا إيجاد آلية للهيمنة المستمرة على العالم ويحذرهم من التخلي عن هذه الفرصة.

وركز على أهمية استمرار التفوق العسكري وعدم كفاية التأثير الاقتصادي. ويرى ضرورة الحفاظ على المصالح، وينظر إلى اهتمام الحضارة الغربية (الأمريكا) بالمسلمين والذي ينبع من أن: «بعض زعمائهم يسيطرون بالمصادفة على بعض الأماكن التي تحوي ثلثي البترول الموجود في العالم» بل ويرى: «إن الغرب سوف يضطر للاتحاد مع القوة الشيوعية ليواجه الخطر العدواني (الإسلام)».

Russia and America should join hand to fight the rising tide of fundamentalism.(١)

أمّا في رأيه عن العالم الإسلامي كصاحب إرث حضاري يمكن له العودة من جديد فيقول: «إن كثيراً من الأمريكيين يتصورون أن المسلمين شعوب غير متحضرة.. وإن المسلمين دمويون وغير منطقيين، ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية الكبيرة سوف

---

(١) www.aloswa.org

يشكل المسلمون خطراً كبيراً سيضطر الغرب إلى مواجهة هذا الخطر».

بل ويرى: «أن الإسلام والغرب متضادان» لذلك ينبغي كما يقول نيكسون: «أن يستعد الغرب لمواجهة حاسمة مع الشرق الإسلامي فالعالم الإسلامي يشكل واحداً من أعظم التحديات السياسية الخارجية للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين»[(١)].

ثم جاءت نظريات صمويل هنتيغنتون الذي نشر مقالاً بمجلة الشئون الدولية سنة ١٩٩٣م عن الصراع الحضاري[(٢)] ثم وضع كتابه (صراع الحضارات) عام ١٩٩٦م كملخص لتاريخ الحياة على الكرة الأرضية في نظرية تاريخ الصراع بين الحضارات[(٣)] قال فيه «.. وكان الصراع الأخير بين الحضارة الغربية التي تمثلها أمريكا وأوروبا بنظامها الليبرالي.. وبين الحضارة الشيوعية التي كانت تقودها روسيا ودول « الإتحاد السوفيتي» السابق وأوروبا الشرقية وقد انتهى هذا الصراع بهزيمة

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص١٣.

(٢) شلبي، صراع الحضارات ، ص١٣.

(٣) إن نظرية صموئيل ظهرت عام١٩٩٣م وصدر كتابه عام ١٩٩٦م، حيث لم يظهر هذا الكتاب إلا بعد ٣ سنوات من استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة حول النظرية، وبعد اكتمال بنائها وأدبياتها نشرت في كتاب (صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي الجديد) وهذا يعني أن الاستطلاع جاء نتيجة حتمية لما أثارته النظرية من جدل ونقاش فكري وعقائدي، وسياسي داخل أمريكا . محمد رسول ، الغرب والإسلام، (الأردن: مطبعة جامعة الأردن، ٢٠٠١م)، ص٣١.

الشيوعية وانتصار الحضارة الغربية.. ولم يعد للحضارة الغربية إلاّ عدو واحد في العالم هو: «الإسلام» فهو دين وحضارة وثقافة.. وهناك حوالي ألف مليون مسلم يعتنقون هذا الدين.. لهم أفكار ومعتقدات وميراث ثقافي وحضاري مختلف تماماً عن الغرب، وهم يريدون أن يفرضوا عقيدتهم بالقوة. والعنف والإرهاب.. بتدمير الحضارة الغربية..». ويقول: «... أيضاً الخطر الماثل أمام «الغرب كله».. إما أن يقضي الإسلام على الغرب.. وإما أن يقضي الغرب على الإسلام»[(١)].

هكذا صور مفكرو الغرب العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية بين الإسلام كدين والغرب كدين وحضارة متفوقة.

ولم يكتفي صموئيل هنتيغنتون بذلك بل وصف الدين الإسلامي: «بالعنف والإهاب» مستغلاً الأحداث التاريخية في إيران أو في أفغانستان أو الجزائر ليقول: «إنّ هذا هو الإسلام» وليس هناك حلول أو مجال لإقامة علاقة مع حضارته إلاّ بالصراع معه، لأنه دين الصراعات: «وسيلتهم التفجير.. والقتل غدراً.. وتكفير الناس.. وإهدار دم من يخالفهم في الرأي والعقيدة..»[(٢)].

وفي المقابل يذكر أحمد شلبي؛ «إن مما يتضح أن الروح الصليبية

---

(١) صموئيل هنتيغنتون، صدام الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصوه، (نيويورك: (د.م)، ١٩٩٦م)، ص٤١٢.

(٢) هنتيغنتون، صدام الحضارات، ص ٤١٢.

التي تفجرت في أواخر القرن الحادي عشر والتي راح ضحيتها ملايين البشر من المسلمين والصليبيين لا تزال متقدة لم تضعفها القرون، وذلك حينما نرى الغرب وبعد عشرة قرون على أتم استعداد لبدء صراع جديد ضد الإسلام والمسلمين»[1].

ولكن هل صحيح أن التعصب الديني كان سبباً رئيساً لهذا الصراع الذي يتحدث عنه أبناء الحضارة الغربية في القرن الحادي والعشرين؟.

وللإجابة عن التساؤل نقول: إن النظرية ارتبطت بظهور الصحوة الإسلامية التي عرفها هنتيغنتون بالأصولية التي رأى فيها الغرب رفضاً إسلامياً للحداثة والثقافة والعلمانية الغربية. لذلك جاءت اهتماماته منصبة على مدى تأثير الصحوة الإسلامية على الحضارة الغربية، وهو يرى أن هناك عوامل زادت من حدة الصراع بين الإسلام والغرب منها:

١- الخلفية السكانية الناتجة للمسلمين تزداد خاصة بين الشباب العاطلين والساخطين الذين أصبحوا مجندين للقضايا الإسلامية.

٢- الصحوة أعطت المسلمين ثقة في حضارتهم وقيمهم مقارنة بحضارة الغرب.

٣- الاستياء الإسلامي من التفوق العسكري والاقتصادي الغربي خاصة أن الغرب يسعى لتعميم قيمه.

٤- الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في

---

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص١٢.

المسلمين إحساسهم بهويتهم.

وعلى العموم لقيت هذه النظريات صداها الواسع منذ ظهورها على منابر الجامعات حيث كان أول معهد أمريكي يهتم بالإسلام ظهر في واشنطن عام ١٩٤٧م وهو معهد الشرق الأوسط إلى جانب ١١٨ منظمة نذكر منها معهد بروكنغز[١] إلى دخولها مراكز الدول الأوروبية السياسية منها والعسكرية.

حيث وجه السكرتير العام لحلف الأطلنطي مانغريد فورتز رسالة إلى الحلف عام ١٩٩٠م يقول فيها: «على طول الحدود الجنوبية لدول حلف الأطلنطي كتلة من التوترات تمتد من المغرب حتى الشرق الأوسط يتم استغلال وتصعيد هذه التوترات إضافة إلى ذلك تعاني هذه المنطقة من مشاكل اقتصادية متأصلة ستؤدي حتماً إلى استمرار تزايد السكان وإلى نشوء صراعات على الموارد وإلى زيادة حدة التعصب الديني والإرهاب..»[٢].

وهنا تظهر الأسباب الخفية وراء هذه الصراعات المقصودة وتعود في المقام الأول إلى العامل الاقتصادي (الأزمة الاقتصادية) التي خلفتها الحضارة الغربية في منطقة العالم الإسلامي، الأمر الذي حدا بها إلى التخوف من مساوئ سياستها في المنطقة.

---

(١) سوزان طربوش، صورة العرب في الغرب، ترجمة: طلال فندي، مراجعة: عواد علي، (د.ط)، (عمان: مطبوعات المعهد الملكي، ١٩٩٩م)، ص٤٨.
(٢) البنا، الغرب والإسلام، ص٢٩١.

وهذه في جملتها عوامل تنم عن خوف مسيطر على مفكري الغرب خاصة هنتيغنتون في نظريته التشاؤمية في مستقبل العلاقات بين الغرب والإسلام[1].

ويدل خوف هنتيغنتون على عدة أمور منها: أنه لم يكن محايداً في بحثه بدليل تحيزه إلى الغرب متجهاً بالهجوم على المسلمين حيث سماهم الأصوليين، والأصولية في نظره معناها التفكير الذي يؤدي إلى الإرهاب، وهذا خطأ كبير نشأ عن قلة دراسته في الفكر الإسلامي، فالمسلم صحيح الإيمان أصولي، ولكنه يتبرأ من الإرهاب[2]. وكان في حكمه قد صدر قياساً على ما حدث في الجزائر وإيران ولبنان من أعمال عنف من جراء المنظمات المسلحة التي تدعى بالإسلامية (الإسلاميون). وقد ذكر الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا «إن التطرف (الإرهاب) ليس حكراً على الإسلام بل ينسب إلى ديانات أخرى بما في ذلك المسيحية، والغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال والنبي محمد ﷺ كان يمقت التطرف ويحارب التعصب، ومن الخطأ الجسيم أن نحكم على المسلمين بالإرهاب لبعض الحوادث التي تتصل بهم، فذلك مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب والاعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات»[3].

---

(١) رسول، الغرب والإسلام، ص٣٣.
(٢) شلبي، صراع الحضارات، ص٢٧٥.
(٣) شلبي، صراع الحضارات، ص٢٧٥.

وفي عام ١٩٩١م أعلن جون كلفان القائد الأعلى للحلف رأيه حول علاقة الإرهاب بالأزمات الاقتصادية: «لقد عرف هذا القرن أطول مواجهة بين الغرب والإسلام طالت أكثر من ألف سنة واشتعلت منذ العصور الصليبية إلى العصر الحديث.. وبعد أن انتصر الغرب في الحرب الباردة (ضد الشيوعية) يعود الصراع أمام الغرب إلى المحور الرئيس (باعتبار الإسلام هو العدو الأول - كما في نظره-) وهو الإسلام..»[١].

وأمام هذه النظريات الأكاديمية تبرأ زعماء الحضارة الغربية (أمريكا) من هذا الموقف الذي أعلنه معظم مفكري وساسة أوروبا وذلك يعود لسبب هام هو خوف أمريكا على مصالحها في المنطقة العربية والإسلامية إلاّ أن الانعكاسات السلبية ظهرت على علاقة الغرب بالعالم الإسلامي بصورة تشجع على التفكير العدائي ضد الإسلام في أوروبا وأمريكا.

أمَّا بالنسبة للإعلام الغربي وموقفه من نظريات الصراع فتذكر صحيفة الموند ديبلوماتيك في مقالها الذي نشرته عام ١٩٩٤م بقلم ماريانو اجوميه تحت عنوان «عدو الغرب بديل عن الشيوعية».

حيث طرح الموضوع بتساؤل في مقدمة المقال يقول فيه: «من هو الخصم الذي سيحل في نظر الغرب بدليل الشيوعية بعد أن ثبت

---

(١) البنا، الغرب والإسلام، ص٢٩٢.

إفلاسها. .» وفي إجابته عن هذا التساؤل قال: «الإسلام هو العدو الجديد. .» الأمر الذي جعل الباحثين والمثقفين يأخذون في بلورة نظرية «صراع الحضارات»[1].

وهذا يدل على أن فكرة حتمية الصراع لدى المفهوم الغربي بدت متأصلة لدى المفكرين والساسة والقادة العسكريين، فقد انتقلت من مجال التفكير النظري إلى مجال التفكير العسكري.

كما يدل على أن الغرب الأوروبي مهتم بدراسة النظريات التي وضعت تحت التنفيذ في وزارات الخارجية والقيادات (الشمال الأطلسي) لأوروبا بل تدريسها في المراكز العسكرية.

لم تكن تلك النظريات الصراعية لتنال اهتماماً دولياً وعربياً وعالمياً لولا ما حدث فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، حيث تعرض الإسلام لأكبر هجمة غربية تحاول أن تضربه فى أصوله، يقول الأكاديمي وليم زارتمان من جامعة جون هوبكتر: «رغم وجود تراث طويل من الدراسة الأكاديمية حول الإسلام في الولايات المتحدة، فإن الأحداث الأخيرة جعلت تلك الدراسات سياسة في تأثيرها كما في بواعثها».

«لقد حاولت نظريات فوكوياما وهنتيغنتون وزميله بارنارد

---

(١) البنا، الغرب والإسلام، ص٢٩١.

لويس[1] العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب إلى أشدها خاصة أنها جاءت لتطال جميع المسلمين في بقاع الأرض. حيث قال هنتيغنتون في تحليله لتلك الأحداث (١١ سبتمبر): «أنها تظهر عمق الفجوة بين الحضارتين الغربية والإسلامية». وتعليقاً على ما ذكره «صموئيل هنتيغتون» قال بارنارد لويس: «إننا للأسف عند استخدامنا كلمة إسلام إنما نستخدم الكلمة نفسها للدلالة على أمرين مختلفين.. إننا نستخدم الكلمة كتعبير مرادف أو متكافئ مع كلمة مسيحية، أي كاسم الديانة في أضيق حدود هذا التعريف ولكننا نستخدم كلمة إسلام كتعبير متكافيء مع تعبير العالم المسيحي إشارة إلى حضارة كاملة تطورت تحت رعاية الديانة المسيحية». ومضى لويس يقول: « إن الإدعاء بأن الإسلام مسؤول عن الإرهابيين هو خطأ بنفس القدر عند الجزم بأن المسيحية أفرزت النازيين»[2].

وذلك تعقيباً لما كان قد ذكره حول الإسلام كدين في كتابه جذور

---

(١) رغم ما كتبه بارنارد لويس حول الصراع الحضاري والتنافسي بين حضارة الدين الإسلامي مع حضارة المسيحيين إلا أنه وبعد أحداث ١١ سبتمبر وخروج نظريات الصراع بين الحضارات ألقى محاضرة في واشنطن يقول فيها: «إن النقاش الدائر حالياً حول النزاع بين الغرب والعالم الإسلامي، والذي يشار إليه بصراع الحضارات يعاني افتقاراً مؤسفاً إلى الوضوح حول استعمال كلمة إسلام مشيراً بكلامه إلى صموئيل هنتيغنتون الذي خرج بنظرية صراع الحضارات وأضاف: «إن الناس يخفقون عند الادعاء بأن الإسلام مسؤول عن الإرهابيين وهو خطأ مثل خطأ أن المسيحية أفرزت النازية» www.a.alwatan.com .

(٢) www.a.alwatan.com

الحقيقة ان دراسة مثل هذا التناقض في اقوال مفكري الغرب ليدل على مدى التناقض بين بعض مفكري الغرب وساستهم حتى أن البعض ممن أيد الصراع استطاع أن يفرق بين الدين الإسلامي وبين الأعمال الإرهابية التي تقوم باسم الدين.

ولكن نجد في قول المبروك رداً على ذلك التناقض: «إن قول الغرب أن احتدام الصراع.. ليس حرباً على الإسلام - هو بمثابة تخدير لعقول المسلمين وضمان لاستمرار غفلتهم وتفكك وحدتهم..»[(١)].

وهكذا تناولت الأوساط الغربية أخبار الأحداث بردود فعل مختلفة في مظهرها إلا أن جميع الأوروبيين في مضمون الأمر متفقون على ضرورة القضاء على الإسلام وأصوله، إلاّ ما ذكر عن زبينجو بريجنسكي[(٢)] الذي عقب على نظرية هنتيغنتون حول صدام الحضارات قائلاً: «بعد نهاية الحرب الباردة رأينا نظرية مناهضة تماماً هي صدام الحضارات كما صورها الكاتب الأمريكي صموئيل هنتيغنتون أن الحقيقة

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٦٤.

(٢) «زبينجوبريجنسكي» بولندي أرستقراطي، شغل منصب مستشار الأمن القومي الأمريكي في نهاية السبعينات، له مؤلفات منها: «رقعة الشطرنج الكبرى» و «الانقلاب الدولي» و «السقوط العظيم» و «خارج نطاق السيطرة» www://albayan.com

هي أن محاولة العثور على أساس واحد لتفسير سلوك الدول غير مجدٍ، وأن هناك ثلاثة عوامل موضوعية أثرت وسوف تؤثر على سلوك الدول: مصالحها، مبادئها، انتمائها لحضارتها..»[(١)].

أما عن الأحداث التي حدثت مؤخراً في الشرق الأوسط فقال: «إن ظنت (أمريكا) أن العرب في جيبها فإنها ستسعى لتفرض عليهم شروط تعامل إن قبلت بعض القيادات فسوف ترفضها الشعوب، وصوت الشعوب سيكون له شأن أكبر»[(١)].

كذلك كانت له تصريحات عديدة عبر فيها عن مدى استفادة إسرائيل من أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م.

وهكذا نجد انقساماً في آراء ساسة الغرب كدليل على عدم جدوى الصدام أو الصراع ونظرياته. إلاّ أن المصالح التي تجمع مجموعة الدول الأوروبية وأمريكا تجعل ذلك الصراع ضرورياً لفرض هيمنة أمريكا وحضارتها على العالم وضمان مصالحها في منطقة العالم الإسلامي لتكون في المستقبل على ما يبدو الإمبراطورية الأمريكية العالمية.

كما ونجد أن المشكلة التي ظهرت حول الإسلام جاءت نتيجة تحولها من مجرد آراء أطلقها المنظرون أو المفكرون إلى قضايا مصيرية اهتم بها السياسيون وغالبية الشعوب الأوروبية والأمريكية خاصة.

---

(١) www.albayan.com.

بل إن عدداً من معاهد الأبحاث أطلقت برامج حول الإسلام مثل (مشروع شيكاغو حول الأصوليات) ومعهد (الولايات المتحدة للسلام) وبرنامج (فولبرايت) وغيرها من الدراسات[1]. لذلك كانت ردود الأفعال مختلفة.

ففي استطلاع أجرته مجلة ذي ايكونوميست - التي هدفت من ذلك الاستطلاع إلى رسم صورة إرهابية للمسلمين وتشويه دين الإسلام الذي أخذت أعداد معتنقيه في التزايد رغم مظاهر العداء التي توجه ضده -، جاءت استطلاعات الرأي تحوي بيانات منها:

١- أن المسلمين كانوا مسؤولين عن ١٢ عملاً من بين ١٦ عملاً إرهابياً بين عامي (١٩٨٣ - ٢٠٠٠م).

٢- رصدت المجلة تقريراً صادراً عن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية يفيد بأن ٣٢ نزاعاً مسلحاً كان دائراً عام ٢٠٠٠م، وشمل أكثر من ثلثي هذه النزاعات مسلمين رغم أنهم لا يشكلون سوى خمس سكان الأرض.

أما مجلة نيوزويك عام ٢٠٠١م فقد تبنت ما كتبه صموئيل هنتيغنتون من نظريات حول صدام الحضارات وقد عقب صموئيل قائلاً: «أن بذور صدام عام بين الحضارات، باتت منثورة، فردود الفعل على أحداث ١١ سبتمبر وردة الفعل الأمريكية جاءت وفقاً للمنظور

(١) رسول، الغرب والإسلام، ص٣٠.

الحضاري إذ أن حكومات الدول الغربية وشعوبها تعاطفت بشكل كاسح مع الولايات المتحدة وكانت داعمة لها..»[1].

وهكذا زادت شهرة هنتيغنتون حيث ختم مقالاته بعنوان: « زمن حروب المسلمين» قال فيه: « فيما يبدو مستبعدا أن تتحقق الوحدة في صفوف المسلمين خلال السنوات القليلة المقبلة فإن المؤتمرات .. تعكس صورة أكثر تفاؤلاً..»[2].

ولقد كان لذلك الصراع الغربي دوافعه التي تضافرت فيما بينها فعملت على تكوين تلك الصورة من الصراع القادم في المستقبل بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية.

أمّا عن رؤية المفكرين حول نظريات الصراع فقد جاءت مختلفة، فهناك عدد من المفكرين والعلماء يرى أن هناك صراعاً حضارياً بين الغرب والمسلمين ولكن لا يصل إلى حد العدوانية التي صورها نيكسون.

يقول أحمد شلبي[3]: «لأن الحضارتين مختلفتان تماماً ويصعب أن تلتقيا، فالحضارة الإسلامية أساسها الدين والقيم العليا، والحضارة

---

(١) رسول، الغرب والإسلام، ص٣٠.

(١) رسول، الغرب والإسلام، ص ٣٠.

(٢) نلاحظ أن كتاب «صراع الحضارات» لأحمد شلبي صدر عام ١٩٩٦م مما يدل على استيعاب المفكرين المسلمين لأهمية هذا الصراع الذي قويت نظرياته بأحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م وشكلت خطراً على مستقبل العلاقة بين الحضارة الغربية والإسلام.

الغربية أساسها التكنولوجيا والحرية المطلقة» ونجد أن شلبي يعتمد في رأيه السابق ذكره على ما عبر به سارتر بقوله: «إن الوجودية التي نعيشها تنبني على توديع ما يسميه الجبناء وجداناً وضميراً وعلى الاستجابة لكل مطالب الشهوة والمصلحة الخاصة» ويستشهد بإعلان نيكسون عن دور الولايات المتحدة في مساعدة كل من العراق وإيران عندما كانت الحرب مشتعلة بينهما، يقول نيكسون: «فتدمير القوتين هدف مهم لنا وكانت مساعدتهما تخضع لحقيقة مهمة هي: أن مصالحنا تطلبت ألاّ يخرج أي من الجانبين منتصراً حقيقياً، فكنا نقدم السلاح لهما وعيوننا على هذا الهدف»(١).

ويوافق المبروك رأي شلبي حول حتمية الصراع فيقول: «.. إن الصدام بين الإسلام والغرب الأمريكي هو صدام حتمي طالما استمرت دوافعه..»(٢).

كما أن هناك من يرى الحوار طريقاً إلى التواصل بين الحضارة الغربية والإسلام، وليس هناك ما يسمى «حتمية الصراع».

ونذكر مبادرة الأزهر الشريف في مصر عام ١٩٩٧م عندما عقد مؤتمر «الإسلام والغرب» بالقاهرة حيث يعد مساراً جديداً من التعاون بين المسلمين والغربيين يخالف به ما ذكره أصحاب النظريات الصدامية:

---

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص١٢.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٧.

«من أن طريق الصدام بالحرب هو الأجدى لصد خطر الإسلام عن النظام الغربي»[1].

والحقيقة أن هذا المؤتمر (الإسلامي المسيحي) هو استمرار لما بدأه المسلمون من قبل في موضوع الحوار بين الأديان حيث لا يعد كظاهرة جديدة على العالم الإسلامي.

وقد كانت ميزة هذا المؤتمر (الإسلام والغرب) أن ساهم في إنهاء حالة الشك حول جدية مخاوف الغرب من نظرية الصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

كذلك عمل مؤتمر القاهرة على تذليل الصعاب التي تحول دون التعاون واللقاء الثقافي بين الحضارتين خاصة أن هناك نقاط التقاء كثيرة بين المسلمين والمسيحيين.

أمّا خطاب الرئيس الإيراني محمد خاتمي الذي ألقاه في طهران في افتتاح المؤتمر الدولي لإحياء الفكر الديني عام ١٩٩٧م، قال فيه: «. . نحن نستبدل الفكرة الخطيرة القائلة بالمواجهة بين الحضارات بالدعوة إلى الحوار بين الثقافات والحضارات. .»[2].

وفي حديثه عن الثورة الإيرانية التي بدأت عام ١٩٧٣م، يقول:

---

(١) البنا، الغرب والإسلام، ص٣٩٣.

(٢) السيد محمد خاتمي، حوار الحضارات وصعوباته، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، (مجلة الحياة)، العدد ١١، السنة ١٩٩٧م، ص٢٧٢-٢٧٣.

«إن ثورتنا كانت ثورة الكلمة.. فقد كانت الكلمة والنداء والحديث أدوات هذه الثورة وليس السلاح والقوة..»[١].

وبخصوص هذا الخطاب يقول قانصوه: «جاء إعلان طهران عن حوار الحضارات في سياق رغبة إيرانية وإسلامية في المشاركة في رسم خريطة للعلاقات الدولية ونظام توزيع القوة والثروة فيها، وقد كانت القاعدة الأخلاقية للإعلان «تعزيز التسامح واحترام التنوع»[٢].

ومن خلال التعليق نجد أن نص الخطاب يهدف إلى إقامة نظام عالمي يقوم على الحوار المتبادل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، محاولة واضحة لكسر الهيمنة الأمريكية ذات المنظور الأحادي.

ونجد أن من مفكري المسلمين من يرى أن الدعوة إلى التعارف بين الحضارات أهم من الحوار، ومن هؤلاء المفكرين محمد إقبال، حيث قال: «أن تتعرف الحضارة الغربية على حضارة الإسلام»[٣].

كذلك ما رآه حسن عزوزي: «كان المصطلح القرآني القاضي بضرورة التعارف بين الشعوب والقبائل وبالتالي بين الحضارات والثقافات، والذي يهدف إلى غايات أنبل ومقاصد أوسع ذلك أنه إن

---

(١) خاتمي ، حوار الحضارات، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) وجيه قانصوه، إيديولوجيا الحضارات، (مجلة شؤون الأوسط)، السنة: ٢٠٠٠م، ص٩١.

(٣) سمير عبد الحميد، الحضارات بين التعارف والتصادم، (مجلة أحوال المعرفة)، العدد: ٢٤، ٢٠٠٢م، ص٣١.

لم يكن هناك تعارف فلن يكون هناك حوار ولا تفاهم»[(١)].

أما المطران جورج خضر فهو يرى: «إن حوار الحضارات عبارة مهذبة ملطفة وهي في الواقع تعني حوار الأديان..» كذلك يرى أنه لا مجال للحوار فيقول: «فلا مجال للحوار، لكننا نرجو أن تكون البيئات الحضارية ترغب في السلام..»[(٢)].

والحقيقة كما يقول روجيه جارودي: «أنها لفرصة تاريخية للإسلام اليوم. حتى يظهر أمام شعوب العالم كدين عالمي حيث يرى أن عقيدة الإسلام وما لها من غايات هي الجواب أو الحل لهواجس وهموم عالم أدى به نمط التنمية الغربية إلى الانحلال الاقتصادي والسياسي والخلقي.. لقد أعطى الإسلام منذ نشأته وفي أوج ازدهاره الحلول المنشودة لانحطاط الامبراطوريات وانحلالها..»[(٣)].

---

(١) حسن عزوزي، من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، (مجلة الوعي الإسلامي)، العدد ٤٠٦، السنة ٣٦، ١٩٩٩م، ص٤٤.

(٢) محمد نور، حوار الحضارات والأديان، (مجلة شؤون الأوسط)، العدد ١٠٤، ٢٠٠١م، ص١٣٥، من المعالم المهمة لهذا التطور الإيجابي توجيه الجمعية العامة الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين لجنة من عشرين عضواً من الشخصيات المرموقة لوضع وثيقة تعرض على الجمعية العامة لإقرارها تشرح لهذا الحوار، وتضع له منهاجاً علمياً يضمن له الفاعلية والاستمرار وأتمت اللجنة عملها وتقدمت للجمعية العامة بوثيقة تقع في ٢٥٠ صفحة عنوانها «عبور خطوط التقسيم.. الحوار بين الحضارات» "Crossing the divide and dialogue civilization".

(٣) www.albayan.com.

وانطلاقاً من إيمان المسلمين بالحوار الحضاري ليحل محل الصراع أخذت الجهات الإسلامية طريقاً عالمياً حيث تمكنت من إقناع الأمم المتحدة أخيراً بالأفكار الإسلامية حول الحوار مما دعا هيئة الأمم المتحدة أن أعلنت عام (٢٠٠١م) عاماً لحوار الحضارات[١].

إن مما يتضح ذكره أن الصراع مفهوم غربي محض، وضعته سياسة الحضارة الغربية بما يقتضي حسب مفاهيمها ومتطلباتها الدولية، وذلك حين وجدت في هذا المصطلح الطريق الذي يجعلها تسيطر على خيرات البلدان الإسلامية، فرأت أن تحارب الإسلام كدين وثقافة وحضارة وتدخل باسم محاربة الإرهاب فأعدت لهذا اليوم عدتها فجاءت النظريات الصراعية التي تمثل نقطة تحول في حياة حضارتها خاصة أنها تجد أنه لا توجد حضارة تعادلها أو تكون في تكافؤ معها فشعرت السياسة الأوروبية عامة والأمريكية خاصة بعالميتها وتفوقها على غيرها من حضارات العالم فلم تر أبعد مما تحت قدمها.

أمَّا نحن من جانبنا كأمة توافرت لها: التاريخ والخيرية الأبدية والشهادة على العالمين، فلن نتبوأ مكانتنا الحضارية إلا بمراجعة أفكارنا وتوفيق أوضاعنا، وإعادة رسم هويتنا، وصياغة ذاتنا الحضارية عن طريق حوار منفتح على العالم وثقافاته المختلفة.

---

(١) ندوة الإسلام وحوار الحضارات، (مجلة أحوال المعرفة)، العدد ٢٥، السنة: ٢٧، ٢٠٠٢م، ص١٥.

٢- دوافع الغرب من الصراع:

أ- (الإرث التاريخي[١]) ويمكن أن نسميه الثأر التاريخي أو الحقد التاريخي. حيث يرجع مفكرو الغرب العداء بين الإسلام والحضارة الغربية إلى ما قبل أربعة عشر قرناً، وهو يأخذ شكل العداء الديني بين المسيحية والإسلام.

ويرى هنتيغنتون أن أسباب هذا الصراع تعود إلى طبيعة الديانتين من حيث: «أن كليهما دين توحيد (فلا تعدد للإلهية)، كلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية.. كلاهما يدعي أن العقيدة الصحيحة الوحيدة التي يجب أن يتبعها الجميع..»[٢].

كما يذهب برنارد لويس إلى أن هذا الإرث التاريخي من العداء أصبح عنصراً ثابتاً في التحليلات الغربية المعاصرة للصراع بين الإسلام والغرب، ويقول حول ذلك: «ظل الخطر الإسلامي على مدى ألف عام تقريباً المشكلة الاستراتيجية الأساسية التي تواجه الأوروبيين ابتداءً من شبه جزيرة ايبيريا حتى النمسا والبلقان بل وما بعدهما إذا ما وضعنا في الاعتبار روسيا وفترة خضوعها تحت التتار..»[٣].

وقد استغل أصحاب النظريات الصراعات والمعارك التي كانت

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٣.
(٢) هنتيغنتون، صراع الحضارات، ص٤١٤.
(٣) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٣.

بين المسلمين والمسيحيين لتأليب الرأي العام ضد الإسلام وأهله، وذلك لتشويه الصورة الإسلامية حيث وجدت تلك الأفكار عند الغربيين في استقبالها قدراً من التأييد، الأمر الذي صبغ التصرفات الغربية بالصبغة الشرعية. فإن إثارة المشاعر الأوروبية بما قد حدث للأوروبيين الصليبيين في الحروب التي بدأت في القرن ١٥م حتى الانهيار كانت وراء تلك الصورة المشوهة للإسلام كدين صاحب حضارة عظيمة كما كانت وراء ذلك الحقد الدفين الذي يحمله الغرب للإسلام.

ب- حدود الدموية[(١)]: أو الفهم الغربي الخاطئ لمفهوم الجهاد في الإسلام. ويرى الغربيون أن الإسلام في ذاته دين حربي، تدعو عقيدته إلى الجهاد وقتال الكفرة. كما أنه يقسم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، لهذا يرون أن حدوده حدود دموية، قال هنتيغتون: «إن غالبية صراعات خطوط التقسيم قد حدثت على امتداد الحدود الملتقية عبر آسيا وإفريقيا، والتي تفصل بين المسلمين وغير المسلمين.. إن الصراع الرئيس بين الحضارات هو ذلك القائم بين الغرب والباقي، بينما على المستوى الأصغر والمحلي نجد أن الصراع هو صراع بين الإسلام والآخرين، فالعداوات الحادة والصراعات العنيفة متغلغلة بين الشعوب الإسلامية والمحلية والشعوب غير الإسلامية..»[(٢)].

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٦.
(٢) هنتيغنتون، صراع الحضارات، ص٤١٤.

أمّا برنارد لويس فيرى: «إن واجب جنود الله من المسلمين هو إرسال أعداء الله إلى الجحيم»[1] بمعنى أن الرؤية الغربية ترى: أن صراع الخير والشر في الإسلام له أبعاد سياسية بل وعسكرية.

وعلى نفس الطريقة يؤكد جراهام فولر الأمر حيث يرى مفهومه للجهاد في الإسلام: «يعني التزاماً دينياً ثابتاً يوجب على المسلمين النضال دائماً وأبداً من أجل العمل على ترجيع نطاق العقيدة، ولا يزال هذا هو رأي بعض الإسلاميين المتطرفين حتى اليوم»، أمّا عند فريد هاليداي فيرى أن العالم الإسلامي هو عالم عدواني لأنه يصطنع العداوات الخارجية ويروج لها: «إن العالم الإسلامي هو العدواني في واقع الأمر، وأنه كان كذلك دائماً يستحق ما أنتجه من معارضة..»[2].

ويعلق شلبي على هذا الأمر: «إن هنتيغنتون وصم المسلمين وصمة هم منها أبرياء عندما قال: إن التاريخ يثبت أن للمسلمين حروباً دموية» وهذا يدل دلالة واضحة على جهل الفكر الغربي بالفكر الإسلامي وقيمه الإسلامية، ذلك لأن حروب المسلمين عبر التاريخ لم تكن إلا حروباً دفاعية وكانوا دائماً ميالين للمسالمة[3].

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٧.

(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٦، ١٧.

(٣) صراع الحضارات، ص٢٧٦.

ج- **شعور المسلمين بفقدان العزة ومرارة الهزيمة** وساعد على ذلك الشعور وسائل الاستعمار من تبشير واستشراق ووسائل إعلام، يعبر برنارد لويس عن معاناة المسلمين من التفوق الغربي فيقول: «منذ وقت طويل وجد الغرب عصياناً متنامياً ضد هذا التسلط الغربي ودافعاً لإعادة تأكيد القيم الإسلامية وإحياء المهابة الإسلامية، لقد عانى المسلم من مراحل متعاقبة من الهزيمة». . ويستطرد في قوله: «أولى هذه الهزائم فقدان الهيمنة على العالم لصالح القوة المهاجمة لروسيا من جهة، والغرب من جهة أخرى، وثانيها كانت تقليص سلطانه داخل بلاده ذاتها من خلال الأفكار الأجنبية الغازية والقوانين وطرق الحياة الأجنبية بل وأحياناً من الحكام والمستعمرين الأغراب وتدخل العناصر غير الإسلامية، ثالثاً الهزائم وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير، كانت تحدي سيادته في عقر داره.»(١).

ورغم هذه الأقوال إلاّ أن الغرب يخاف من الإسلام ومن مواجهته، ويرون أنه لم يهزم، يقول ادوارد سعيد: «غير أن الصعوبة الكبرى بالنسبة للإسلام تكمن في أنه على النقيض من الصين والهند، لم تتم أبداً تهدئته أو هزيمته، وما زال الإسلام أو شكل ما من أشكاله لأسباب كانت على الدوام تبدو كأنها تتحدى أذهان وفهم الباحثين يواصل اجتياحه لأتباعه الذين يعاندون القبول بالواقع. .»(٢).

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٧.

(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٧.

ويواصل برنارد حديثه فيقول: «هناك شيء ما في الثقافة الدينية الإسلامية ألهم حتى أولئك الناس الأكثر تواضعاً وسذاجة شعوراً بالكرامة والاحترام والتعالي تجاه الآخرين بشكل نادر جداً..»[1].

د- **النفط (البترول) والثورة الإيرانية ١٩٧٣م**. يقول جراهام فوللر: «الخطر العربي على النفط في عام ١٩٧٣م وأزمة إمدادات البترول من عام ١٩٧٣ - ١٩٨٢م، أثارت مخاوف الغرب من ضعفه الهيكلي إزاء سلاح قطع الإمدادات نتيجة عدم الاستقرار الإقليمي».

أما «جون ب. كيلي» فيقول: «عن تصرفات الدولة الإسلامية الغنية بالنفط إذا وضعت في إطارها التاريخي والديني والعرقي لا تصل على أقل من محاولة واضحة قوية لإخضاع الغرب المسيحي للشرق المسلم»[2].

ويوضح روجيه جاوردي في كتابه « أمريكا طليعة الإنحطاط» دافع أمريكا من الصراع: «إن النقطة الحساسة للإمبراطورية الأمريكية هي الخليج العربي (الفارسي) الذي تحيط به أغنى منابع البترول والذي سيظل عصب التنمية الغربية لعدة قرون قادمة»[3].

كذلك عبر أندريه سخاردوف الروسي عن أهمية منطقة العالم

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص١٧.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢١.
(٣) www.albayanlo.ae.

الإسلامي حيث البترول فيقول: « إن للعالم الثالث مستقبلاً وذلك عندما يبدأ التعاون. . »[1].

وأنه على ما يبدو أن الصراع الحقيقي الذي سوف يواجهه العالم الإسلامي من أمريكا كزعيمة للحضارة الغربية هو في حقيقة أمره يدور حول هاتين النقطتين وأن التركيز الأكثر هو خوف أمريكا على مصالحها في العالمين العربي والإسلامي حيث تعد المنطقة الشرايين التي تضح الدماء (البترول) إلى الجسد الأمريكي أو لنقول: الإمبراطورية الأمريكية الوحيدة مستقبلاً.

هـ- **موقف الغرب من القضية الفلسطينية** لا ينكر الغرب موقفه إلى جانب إسرائيل في إثارة وتأجيج الصراع بين العالمين الغربي والإسلامي يقول هاليداي: «ما من علاقة أكثر تعقيداً أو إثارة للجدل من العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم اليهودي وفي المقام الأول بسبب ما حدث منذ هجرة اليهود الواسعة إلى إسرائيل في أواخر القرن التاسع عشر وإقامة دولة إسرائيل في ١٩٤٨م وتبدو مذبحة تسعة وعشرين مسلماً أثناء صلاتهم في مسجد الخليل على يد المستوطن الإرهابي الإسرائيلي باروخ جولد شتاين عام ١٩٩٤م مجرد تتويج لهذا التناحر، وهنا في المقام الأول تسود الصور عن عداء أبدي غير تاريخي في كلا الجانبين. . »[2].

---

(١) www.aafag.org.

(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢٠.

أما جراهام فوللر فيرى: «أنه على الرغم من أن قيام إسرائيل لم تقبله بعد جميع الدول الإسلامية باعتباره أمراً واقعاً، فإن القضية لا ينظر إليها العالم الإسلامي على أنها مجرد صراع بين طرفين على نفس الحلبة، ذلك أنهم ينظرون إلى إسرائيل في إطار الدول المشاركة في الحروب الصليبية، ومع أنها جرى فرضها على نفس الساحة وأسسها مرة ثانية المواطنون الغربيون وقوى الغرب وفرضوها على العالم الإسلامي..»(١).

ويرى كثير من المسلمين أنّ من أسباب موقف المسلمين من الغرب هو أن التفوق العسكري الإسرائيلي الدائم على جيرانها العرب هو هدف صريح للسياسة الأمريكية في ظل جميع الإدارات الأمريكية دون اعتبار للأحداث أو لسياسات إسرائيل. وهو الأمر الذي يعني: أن النخب السلطوية في الغرب الأمريكي تمارس ضغوطها وذلك حسب مزاعمهم: أن الإسلام في ذاته يمثل أيديولوجية استنهاضية للفقراء والمستضعفين في الأرض مما يجعل الممارسات الغربية تدفع الأمور في اتجاه الصدام الفعلي»(٢).

وإننا إذا أضفنا هذا الدافع إلى الدافعين السابقين لاكتملت الصورة التي تقول إن الدوافع هي دوافع المصالح وليست دوافع الدين

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢١.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٦٥.

أو الحضارة كما يزعمون خاصة أن أمريكا ترى في إسرائيل صورة مصغرة لنشأتها تعمل على حمايتها وتسعى للصراع من أجل تأمين الحماية لها ولمصالحها المشتركة.

و- **الاستعمار الاقتصادي «القروض المالية»** كان لسياسات الغرب الاقتصادية دور في إثارة عداء المسلمين للغرب فيقول جراهام فوللر: «إن صندوق النقد الدولي يفرض قرارات اقتصادية جامدة ومحدودة على الحكومات واقتصادات الكثير من دول العالم الثالث دافعاً في اتجاه سياسات تقشف هي كارثة سياسية تهدد الاستقرار الاجتماعي..»(١).

وقد كانت تلك السياسة الغربية امتداداً لما جاء به الصليبيون من وصف للعالم الإسلامي: «أثاروا به شهية الأوروبيين» مما جعلهم يتجهون إلى نهب خيرات البلدان وسرقة ثرواتها، ولتدعيم ذلك أنشأت الدولة الاستعمارية الكبرى مؤسسات ادّعوا أنها دولية وعالمية وهي «البنك الدولي» وصندوق النقد الدولي ووكالة التنمية الأمريكية التي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية لحل مشاكل الدول الغنية»(٢).

أضف إلى ذلك مساندة السياسات الغربية بعض الأنظمة المحلية في الدول الإسلامية من باب تبادل المصالح تقول «تيريزا هاتير»: «حدث النمو الأساسي في المساعدات الرسمية الحكومية منذ الحرب العالمية

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢٣.
(٢) السيد، احذروا الأساليب، ص٢٢١.

الثانية ويمكن أن ينظر إلى ذلك النمو خاصة بعد فقدان المستعمرات كوسيلة للحفاظ على مصالح مشتركة بين الصفوة في الدول النامية وبين المركز الاستعماري أو كنوع من الرشوة لتلك الصفوة لجعل الأمر مفيداً لها أن تستمر في التعاون لاستنزاف رأس المال من بلادها»[١].

ويبدو أن ذلك كان في ماضي الاستعمار المظلم أما الآن فإن الدول العربية والإسلامية أفراداً وشعوباً تعمل جاهدة للنهوض بمجتمعاتها مستفيدة من ثروات أراضيها الخيرة.

ز- العولمة كان من نتاج النظام العالمي الجديد ظاهرة العولمة (Glo-balization)[٢] التي رفضتها معظم الشعوب في العالم رغم أن هناك البعض ممن قبل بها ممن رأى في العولمة (ضرورة تاريخية)[٣] بمعنى أنها حتمية أهّلتها الظروف التاريخية. وهي تتغلغل في نواحي الحياة المختلفة وتسعى إلى إذابة الثقافات الوطنية باتجاه نزعة عدمية عبر إحلال وفرض نموذج ثقافي واحد وهو النموذج الغربي، آخذين بنظرية نيكسون «انتهزوا الفرصة».

---

(١) السيد، احذروا الأساليب الحديثة، ص٣٢٤.

(٢) العولمة وسيلة الغرب لفرض سيطرته على العالم ومؤسسا عليها رؤية مستقبلية لإدامة هذه السيطرة، بكار، عبد الكريم، العولمة، ط٢، (الطائف: دار البيان الحديثة، ٢٠٠١م)، ص٩.

(٣) إبراهيم نصر الدين، العولمة وانعكاساتها على دول العالم الثالث، (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٩م)، ص٣٥.

وبما أنّ لنا ثقافتنا الإسلامية الشاملة (عقيدة ودين نظام عمل وحياة) فإن الرفض الإسلامي للعولمة كان قوياً خاصة أن الأهداف الغربية للعولمة عنصرية واستعمارية وتدميرية.

للإعلام الغربي دور في محاولة زعمائه خلق نموذج ثقافي داخل الوطن العربي والدول الإسلامية. كذلك نجد العولمة في الناحية السياسية لا يتقبلها العرب لمواقف الغرب من القضية الفلسطينية ومن موقفها من العراق وتواجد المعسكرات الغربية في الخليج، كل ذلك يدل على أن العولمة قادمة بأهدافها الاستعمارية. وهي الأهداف الحقيقية أما ما قبل فهي أهداف واهية من عالم واحد في نمط السلوك والعادات والسياسات والثقافات.

والإسلام قد عدّ الناس جميعاً أمة واحدة تجمعها الإنسانية وإن فرقتها المصالح، قال تعالى: الآية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1] وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[3].

ونجد إن الإسلام دعا للتعاون الجماعي الإنساني بل واقره، قال

(١) سورة البقرة. الآية ٢١٣.
(٢) سورة الأنبياء. الآية: ٩٢.
(٣)سورة الروم. الآية: ٢٢.

تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1] لذلك كانت الرؤية الإسلامية لعالم واحد تكمن في تعاون هذه الأمة الواحدة على العدل والتسامح والتواصل، وهو عكس ما جاءت به العولمة المادية. فكان هذا الاختلاف في نظام العالم الإسلامي والعالم الغربي ضرباً من النزاع بين الحضارتين.

ح- الإعلام الغربي والدراسات الغربية:

إن هذه الوسائل السابقة كانت لها آثار إيجابية، كما أن لها آثاراً سلبية في مسألة الصراع الغربي الإسلامي حيث عملت دراسات الاستشراقيين المضللة ووسائل الإعلام الغربي الموجهة ضد الإسلام إلى تبني الأفكار والنظريات والدراسات التي من شأنها أن تزيد من حدة التوتر.

يقول ادوارد سعيد: «لا نبالغ بالقول إن العرب والمسلمين تتم تغطيتهم الإعلامية أساساً بوصفهم موردي بترول أو إرهابيين محتملين، أما تفاصيل الحياة العربية الإسلامية والكثافة الشعورية الإنسانية وزخمها النابض فلم يدخل إلاّ النذر اليسير منها حتى في أوعى أولئك الذين احترفوا تغطية العالم الإسلامي والإبلاغ عنه..»[2].

كما يتهم عليوه اللوبي الصهيونية الإسرائيلية بتحريض الإعلام الغربي والعالمي حيث إن ذلك يشكل نوعاً خفياً من الإرهاب الفكري

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص١١١.

الذي يلجم الكثير من قادة الغـرب والعالم والرأي العام في الغرب عن المجاهرة بالحقيقة وفضح العنصرية الصهيونية في إسرائيل.

ويذكر شلبي الدور الذي يلعبه الإعـلام الغربي في تشويه الإعلام العربي بقوله: «كـان من أجهزة الإعلام الغربية ما يربط كـلمة الأصولية بالإرهاب والضعف والتشـدد، والحق أن الأصولية لا تعني ذلك، وهناك بعض الكتاب الغربيين الذين يفرقون بين المعنى الحـقيقي لكلمة الأصولية وبين المعاني التي أشاعتها وسائل الإعـلام، فأصبحت كلمة الأصولية في أذهان الغـربيين تعطي الانطباع والتـشدد والتـعصب وهو المعنى الخـاطئ الذي أشاعتـه إسرائيل التي هي في الحق أول من يتهم بالأصـولية بمعنى التشدد والتعصب والقسوة والسطو على حقوق الغير»[(١)].

ط- الأيديولوجية:

إن اختلاف الإيدلوجـية بين الغرب والإسلام كان سبـباً هاماً من أسباب الصراع حـيث يقول برنارد لويس عن ذلك: «صراع الأصوليين ضد عـدوين: العلمـانية والحداثـة، الحرب ضد العـلمانيـة هي حرب متـعـمدة صـريحة، وهناك الآن سـيل طازج من الأدبيـات التي تدين العلمانية باعتبارها شراً رجيـماً، وقوة وثنية جديدة في العالم الحديث، وهذه الأدبيـات تنسب العلمانيـة بصيغ مـختلفـة إلى اليهـود والغرب والولايات المتحـدة، أما الحرب ضـد الحداثة فهي في غالـبيتهـا ليست

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص٢٦.

واضحة ولا صريحة، وهي موجهة ضد كل ذلك التغير الذي أصاب العالم الإسلامي في القرن الماضي..»[١].

ويقول فوكوياما: «إن الإسلام يشكل إيديولوجية متسقة ومتماسكة شأن الليبرالية الشيوعية، وأن له معاييره الأخلاقية الخاصة به ونظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، كذلك فإن للإسلام جاذبية يمكن أن تكون عالمية..» أمّا جرهام فوللر فيقول: «والمسلمون اليوم مواجهون مرة أخرى بحملة غربية جديدة هي هذه المرة على طريق القيم العالمية وحقوق الإنسان، وتطبيق الليبرالية السياسية وبناء مجتمعات مدنية..»[٢].

يقول هنتيغنتون: «المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته، المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية الأمريكية ولا وزارة الدفاع، المشكلة هي أن الغرب حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفوقة إذا كانت متطورة فإنها تفرض عليه التزاماً بنشر هذه الثقافة في العالم»[٣].

ي- انتهاء الحرب الباردة وهزيمة الشيوعية أمام الرأسمالية:

أشار كثير من المفكرين الغربيين القدماء منهم والمحدثين إلى أن

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢٥.

(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢٥.

(٣) هانتيغنتون، صدام الحضارات، ص٥٠١.

انتهاء الحرب الباردة كان لها دور في تأجيج الصراع بين الغرب والإسلام فيقول هاليداي: «ويلقى هذا القلق التاريخي من الإسلام الدعم من مصدر آخر تماماً هو انتهاء الحرب الباردة، فهناك من يزعمون في كل الغرب والعالم الإسلامي أن انتهاء الحرب الباردة هي نزاع بين غرب ديمقراطي رأسمالي وشرق ديكتاتوري يسيطر عليه السوفيت..»[١].

ومن ذلك ما قاله برنارد لويس: «إذاً لم يعد إلاّ الإسلام يحتاج إلى مواجهة القوة بعد هزيمة الشيوعية»[٢].

وقد عبر ز. بريجنسكي في كتابه السقوط العظيم عن توقعاته لسقوط الشيوعية عام ١٩٨٧م وكان ذلك ما حدث فعلاً[٣] وقد كان فشل الشيوعية وعقائدها ومبادئها الروحية وجهة نظر للإسلام بمبادئه الراسخة في قلوب المسلمين خاصة أن الشيوعية كانت عدو الرأسمالية وعدو الإسلام، وبسقوطها لم يبق أمام الغرب سوى الإسلام كنظام دين ودنيا لتتوجه إليه بحربها.

ويمكن بذلك أن نقول: اكتملت الدوافع التي تسعى الحضارة الغربية بجميع أعضائها كرؤساء ومفكرين وعلماء إلى الصراع الذي

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب. ص٢٤.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٢٤.
(٣) www.albayan.com.

كثيراً ما تحدثت به أقلامهم وأعلامهم، ووضعت له الأجندات ورسمت له السيناريوهات التي تعمل الحكومة الغربية على تنفيذها لذلك ترى ضرورة استمرارها في هذا الصراع المقصود على العالم الإسلامي إلا أن هناك فئة من الذين يرون بمنظور آخر، ويمكن أن نقول منظور الحق والواقع من أبناء هذه الحضارة والذين يدركون خطورة الموقف فلا يسعهم إلا أن يقولوا: «وأما أصدقاؤنا في الغرب فنحن بقدر ما نكن لهم من الاحترام والتقدير لكل ما ساهموا به ولا يزالون في تقدم البشرية والاعتراف لهم بالفضل نسألهم اليوم. بذلك مجهود كبير من التواضع الفكري والتسليم بأن مستقبل البشرية تساهم كل الأمم في نحته وتحمل تبعاته وتسألهم بكل لطف التخلي عن الاعتقاد بأنهم هم كل شيء..»[1].

٣- تفسير الرؤية الإسلامية لدوافع الغرب من الصراع الحضاري:

أما عن الرؤية العربية والإسلامية لتفسير دوافع وأهداف الغرب ثم الصراع فقد جاءت في أقوال مفكري وعلماء ورؤساء المسلمين ونأخذ منهم:

رؤية يوسف القرضاوي حول العولمة، والذي تحدث عن الغرب الأمريكي في كتابه المسلمون والعولمة يقول فيه: «كانت حرب الخليج

(١) روجيه جارودي، حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوّ، (بيروت: منشورات العويدات، ١٩٧٨)، ص٢٨٥.

الأولى كارثة (..) بكل المقاييس، وأحسب أنهـا أضرت المنطقة كلها على الأقل، نصف قرن من الزمـان، حتى يمكنها أن تستـعيد قوتهـا ووحدتها وثقـتها بـنفسـها»[1]. وعلى مـا يبدو أن تلك الأضـرار شملت جـميع المجالات، الاقتصادية، والعسكرية، والسياسـية، والاجتماعية. وعلى ما يبـدو أن رؤية القرضـاوي قد أصـابت فلم نُفِق من حـرب الخليج الأولى حـتى دخلنا حرب الخليج الثـانيـة، والتي ما زالت مـستـمرة إلى وقـتنا الحاضر.

وعند حـديثه عن النظام العـالمي الجديد (العـولمة) الذي تفـرضه أمريكا على العـالم قال: «أثبت النظام العالمي (العولمي) الجـديد قدرته في الحروب الأهلية بين شعوب يوغسلافيا في حرب البوسنة والهرسك مع الصرب وحـرب كوسـوفو مع الصـرب، وتزعم قوى الغـرب أنها تعمل عـلى إشاعة الديمقـراطية الليـبراليـة في العالم، وترعى حـقوق الإنسان وتحامي عن المضطهدين والمعذبين في الأرض..»[2].

وبذلك يتضح هدف الغـرب (أمريكا) من النظام العـالمي الجديد وهو فرضها ثقافتها وحضارتها على جميع شعوب العالم لتكون لنفسها حضارة واحدة تبلغ بها حد الإمبراطورية.

ويرى القرضاوي في دوافع الغرب الاقتصادية أنها غير عادلة ولا أخلاقية لأنها: تقوم على استلاب جهود الضعفاء لمصلحة الأقوياء سواء

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٣١.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص ٣١.

كانوا أفراداً أو شعوباً أو دولاً بل ويرى فيه امتداداً للاستعمار القديم كما أنه لا يهتم باحتياجات الشعوب وإنما يهتم بما يعود عليه من أرباح. أمّا عن العولمة الثقافية فيقول: «تريد أن تسلخنا من جلدنا وأن تنزعنا من هويتنا أو تنزع عنا هويتنا، وأن تنفق في أمتنا بضائعها الفكرية ومعلباتها الثقافية الملوثة بالإشعاع والحاملة للموت والدمار»(١).

ويذكر القرضاوي عن عولمة الدين، كما يسميها، قائلاً: «وهناك سعي حثيث لعولمة الدين عن طريق نشر العقيدة المسيحية في العالم (تنصير العالم) وهو ما تهدف إليه الكنائس المسيحية»(٢).

يذكر كمال المهلباوي في كتابه (السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط): «إن الغرب عموماً قادته خصوصاً ومفكريه - على وجه أخص - يرون أنه بعد هزيمة الشيوعية لم يبق إلا الإسلام عقيدة وشريعة - أن نظاماً متكاملاً - يمكن أن يتحدى النظم الوصفية بما في ذلك النظام الديمقراطي.. وهؤلاء القادة والمفكرون مصيبون فيما ذهبوا إليه لأنهم يدركون طبيعة هذا الدين..»(٣).

ويرى أنهم استخدموا لتحقيق هذا الهدف صوراً عديدة منها: «طرح الديمقراطية الغربية بمفهومها الغربي العلماني المتكامل والترويج لها... بدلاً من الشورى.. حتى انخدع بها المفكرون المسلمون...»(٤).

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٣١.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٣١.
(٣) مبروك، الإسلام والغرب ص٣١.
(٤) مبروك ، الإسلام والغرب، ص٣١.

كذلك طرح مفهوم حقوق الإنسان حتى ينسى الناس المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان أضف إلى ذلك: «زرع القواعد العسكرية والتسهيلات التي تستخدم ضد المسلمين في العالم العربي... مع ضغوط على الدول تتجه للإسلام أو حتى مجرد المناداة بتطبيق الحدود الشرعية أو تلك الدول التي تزدهر فيها الحركة الإسلامية»[(١)].

كذلك نضيف أن ممارسة أمريكا ضغوطاً سياسية واقتصادية وإعلامية وعسكرية في الدول العربية والإسلامية مثل: «الأردن، السودان، الجزائر، اليمن، تونس، مصر، باكستان، أفغانستان... هذا فضلاً عن فلسطين المحتلة...».

كما تهدف لهدم صورة الثورة الإسلامية في إيران وتشويهها لأنها صرحت بقيام ثورة إسلامية، وفي ذلك يقول أحد مديري المخابرات الأمريكية: «لقد انزعجت أمريكا كثيراً وبخاصة بعد الثورة في إيران لأن الهياكل القائمة على العالم الإسلامي قد أصبحت عرضة للتيارات الإسلامية وأن الطبقات المتغربة.. والوسطى المتعلمة بدأت تفقد قيمتها من معظم العالم الإسلامي..». هذا مع استغلال وسائل الإعلام الغربية في إشعال نيران الخلافات الدينية المذهبية بين العلماء المسلمين حتى: «والتي لا تؤمن بالسنة ولا بالشيعة»[(٢)].

أضف إلى ذلك اضطهاد وإبعاد المسلمين عن مناطق النفوذ

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٣٢.
(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٣٢.

والمصالح الأمريكية في العالمين العربي والغربي، مع إغراق دول العالم الثالث بالديون وإثارة الفتن والحروب.

أما ما يدور حول النظام العالمي الجديد (العولمة) فيرى: «إن أمريكا تهدف إلى أن تنفرد كقوة واحدة تقود العالم وتسخره لخدمة مصالحها ومصالح الغرب والصهيونية. أن تظل الدول بأنظمتها العربية تسير في ذيل النظام لخدمته..» ويقول: «النظام العالمي يعني حماية إسرائيل وضمان توسعها»[1].

وبعبارة بريجنسكي عن تدهور المجتمع الأمريكي في كتابه (خارج نطاق السيطرة) يقول: «إن العالم الذي جاء بعد الشيوعية عام خطر. قلق متوتر يجب أن ندرك المخاطر الناجمة عن الديمقراطية الغربية حيث سيوجد في أمريكا نوع من الإباحية المطلقة، كل شيء مسموح وكل شيء مباح، وبالتالي سوف تتعارض مصالح الأفراد وسوف يوجد هناك قدر كبير من الأنانية بينهم، توجد انشطاراً في المجتمع وخطراً عظيماً»[2].

يرى الغرب قيادة وفكراً أنه بعد هزيمة الشيوعية (كعقيدة) لم يبق إلا الإسلام كنظام متكامل (عقيدة وشريعة) يمكن أن يتحدى النظم الوضعية للحضارة الغربية (صاحبة النظام الديمقراطي). ويعود سر ذلك إلى معرفتهم بطبيعة الدين الإسلامي وسر قوته، وهم في عدائهم له يظهرون العداء القديم بين الغرب والإسلام.

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٣٢.

(٢) www.albyan.com.

كذلك تعامل الحضارة الغربية مع الحضارات الأخرى من نظرة استعمارية، نظرة الاستعلاء والكبر والغطرسة الأمريكية. لا تقوم تلك النظرة على الندية ولا الأخذ والعطاء وإنما هي قائمة على الأحادية وأنها حضارة انتهت إليها الحضارات.

أضف إلى ذلك أنَّ الحضارة الغربية ممثلة في الزعيمة أمريكا لا تخاف من الإسلام كدين لأنها في قرارة رؤسائها ومفكريها تعرف مدى سماحته وإنسانيته، ولكن ما تخافه حضارة الغرب النتائج التي خرجت بها من منطقة العالم الإسلامي، والتي كانت نتيجة لسياستها الخاطئة في المنطقة والتي ترى أنها أوشكت على أن تجني ثمار حصادها.

وفي ذلك يقول روجيه جارودي: «إن هيمنة الغرب هي أخطر حدث في تاريخ الكون لم ينتج عنه سوى الخوف من الموت وخشية الإنسان أخاه والذعر من المستقبل..» ويقول في موضع آخر: «.. إن هذه النهضة لم تكن مجرد حركة ثقافية بل كانت مولداً مزدوجاً للرأسمالية والاستعمار التي هي أبعد من أن تكون أوج النزعة الإنسانية لقد أتلفت هذه الحضارة حضارات أعلى شأناً منها في علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع والأمور الإلهية»(١).

٤- أزمة الحضارة الغربية المعاصرة:

يجمع المؤرخون والمفكرون على أن الحضارة الغربية قامت على ثلاثة روافد في مجال الأخلاق: المسيحية الكاثوليكية في مضمار

(١) حوار الحضارات، ص٣٨٦.

الحقوق والسياسة، القانون الروماني في حقل الفكر والفنون: التقليد الإغريقي[1].

ولكن نجد أن جميع تلك الروافد تعلمت من الحضارة الإسلامية إما عن طريق الحروب الصليبية أو عن طريق اتصالهم بالمسلمين عن طريق الجامعات والمعاهد العلمية في جنوب إيطاليا وقرطبة ودمشق وبغداد وذلك بنقل علوم المسلمين بترجمتها إلى لغاتهم.

الأمر الذي ترك أثره على الحضارة الغربية بدءاً من عصر النهضة الأوروبية التي بدأت من القرن السادس عشر وما تلاه حيث «الانتقال من ظلمات العصور الوسطى إلى نور العصر الحديث».

حيث انتقلت أوروبا من نظام الإقطاع إلى النظام الرأسمالي من عهد الحجر على العقول وقمع العلماء إلى عهد الحرية الفكرية والنظريات والمخترعات الحديثة التي أثرت في حياة البشرية.

وقد استطاعت أوروبا في القرن السادس عشر أن تحقق ما تسميه بعصر النهضة في ربوعها واستطاعت أن تفرض سيطرتها العسكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية على العالم ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر وانتهاء الحرب العالمية الأولى التي انتهت بتقسيم العالم بين العالم الأوروبي[2].

---

(١) جارودي، حوار الحضارات، ص١٧.

(٢) منير شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ط٢، (بيروت: دار الحكمة، ١٩٨٣م)، ص٥٣.

الأمر الذي أدى إلى أن تسود المفاهيم والقيم الأوروبية كل العالم باعتبارها أنها بلغت أعلى قمة في الحضارة. ونتيجة لهذا ساد العالم الأوروبي في العصور الوسطى من هلع وخوف مقيت للكنيسة وتعاليمها حيث صكوك الغفران ومحاكم التفتيش، قامت حضارة الغرب على النقيض من تلك التعاليم الكنيسية. انطلق الأوروبيين يبحثون عن نظريات جديدة يؤسسون عليها نظريتهم للكون والحياة فتوجهوا إلى الإيمان بالعقل بدل الإيمان بالله.

فظهرت لديهم نظريات فلسفية وضعها أوجست كونت إضافة إلى ما وضعه هيجل في نظريته في تعليل التاريخ وأن المبدأ الأساس الذي يحرك الوجود هو الروح أو العقل ثم جاءت نظرية دارون في نشوء الأحياء وارتقائها. أما نظرية علماء الاجتماع للحياة فقد فسرها كهربرت سبنيسر وأمثاله فنقلوها من عالم الحياة العضوية إلى عالم الحياة الإنسانية، ثم جاء جان جاك روسو فوضع نظريته في العقد الاجتماعي التي كانت أساس نظرية القوميات، ثم جاء ماركس ووضع نظريته الجدلية على أساس العامل الاقتصادي محرك الحياة التي تربط نشاط الإنسان بالجانب المادي وتفرغه من الجانب الروحي[١].

لقد اعتمدت الحضارة الغربية الحديثة على تأكيد تقدمها على الحضارات الأخرى، وذلك من خلال إظهار قوتها المادية وتقدمها النفسي والعلمي. بل استخدمت تفوقها المادي في وجه جميع الانتقادات الموجهة

(١) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٥٦.

لها في جميع المجالات التقدمية: النفسية والعلمية والعسكرية.

لذلك كان هناك تساؤل: كيف استطاعت هذه الحضارة المعاصرة أن تهزم القوى الأخرى بل وتسيطر عليها؟ وكيف استطاعت أن تستمر خلال القرون الأربعة السابقة إلى الآن؟

كذلك يوجد تساؤل آخر وهو: متى يمكن أن تسقط هذه الحضارة الغربية؟

وللإجابة عن التساؤل الأول لابد من معرفة نقاط القوة التي اعتمدت عليها الحضارة الغربية المعاصرة[1].

إن النقطة الأولى التي أعطت الحضارة الغربية القوة تكمن في الحيوية التي دفعتها رغبة الأوروبيين في إشباع حاجاتهم الأساسية دون حدود أو قيود مما جعلهم يضعون الحياة هدفاً يصلون به إلى أقصى مستويات الثروة والقوة المادية، الأمر الذي ترتب عليه وضع منهج يساير نظراتهم لمختلف الاتجاهات والاحتياجات الروحية والفكرية والمادية لا على المستوى الأوروبي، بل وفرضه على الشعوب الأخرى.

وكانت نتيجة هذه المنهجية عدة أمور نلتمسها في حياتنا:

١- فرضت الحضارة الغربية قيمها على المجتمعات الأخرى وعملت تلك المجتمعات على نهج الطريقة نفسها دون وعي ولا إدراك إلى ما يمكن أن يأخذ من حضارة الغرب أو يمكن تركه، فنتج عنه حياة

---

(١) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٧٧.

مفتقرة إلى التوازن، وبالتالي انتشار الأمراض النفسية والانحرافات الجنسية وزيادة الاستهلاك وظهور المخدرات وغيرها من الآفات التي أصابت المجتمعات الحديثة. وفي هذا الصدد يقول روجيه جارودي: «كيف نعد للقرن الواحد والعشرين؟»: (إننا نوشك أن نقتل أحفادنا ونعد انتحار كوكبنا في القرن الحادي والعشرين إذا ما استسلمنا للانحراف القائم في السياسة العالمية «البطالة - الإبعاد - الغربة داخل الوطن الجوع في ثلاثة أرباع العالم..)[(١)].

٢- تقليد المجتمعات الأخرى للحضارة الغربية جعل تلك الحضارة تتطور في مجالات العلوم والتقنيات من أجل امتلاك القدرة الإنتاجية والعسكرية لإحكام السيطرة على الآخرين واستنزاف ثرواتهم.

٣- كان الإنتاج يحتاج إلى تنظيم العمل في جميع الجوانب وجميع العناصر الفاعلة وحشد القوى وتركيزها واستغلال الطاقة القصوى، الأمر الذي جعل الحضارة الغربية ذات قدرة عالية في عنصر التنظيم الذي تفتقده كثير من الحضارات الأخرى.

٤- حشد أكبر مخزون من القوة العسكرية وتطويرها حتى قارب إلى «الكمال».

٥- القوة البراقة والجذابة للسلع الاستهلاكية تدفع الكثير إلى الغرق في المجتمع الاستهلاكي، الأمر الذي أدى إلى قوة نوازع السيطرة

---

(١) www.albayan.com.

البحث عن الثروة واضعف قدرة التوازن لدى المجتمع المستهلك[1].

٦- التشجيع الذي تضعه للنوازع الغريزية والبهيمية من إشاعة لجنس أو مختلف أشكال الانحلال الأخلاقي ساعد في السيطرة على لشعوب المستضعفة.

أما حول إجابة السؤال الذي يتردد على أذهان البعض هو: متى يكن أن تسقط هذه الحضارة المادية.

فإن نقاط الضعف التي تحيك حبال سقوط هذه الحضارة تكمن ي التالي:

١- أن التطور غير المتوازن بين مختلف المجالات يؤدي في النهاية إلى الإسراع بسقوط الحضارة الغربية وذلك حين طغى الجانب المادي على العلاقات الإنسانية والأخلاقية.

٢- التنافس الشديد بين أفراد القوة المهيمنة في هذه الحضارة يولد صراعاً على امتلاك القوة والسيطرة والتنازع من أجل الثروة والسيطرة وهو ما قد يؤدي إلى تآكل بنيان حضارتهم.

٣- إطلاق الغرائز والنزعات وانتشار الفساد والانحلال قد يصل في هذه الحضارة الغربية المعاصرة إلى ضعف شديد بحيث تصبح غير قادرة على الاستفادة من قوتها المادية.

---

(١) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٧٨.

٤- فقدان العدالة الاجتماعية، قال ديورانت في نهاية روما: «الحضارات العظيمة لا يقضى عليها من الخارج إلاّ بعد أن تقضي على نفسها من الداخل، وشاهد ذلك أننا نجد الأسباب الجوهرية لسقوط روما من شعب روما نفسه أي في أخلاقها وفي نزاع طبقاتها، في كساد تجارتها وفي حكومتها الاستبدادية وفي ضرائبها الفادحة وحروبها المهلكة[١]». لقد كان لهاجس تحقيق السيطرة على العالم ونهب ثرواته بالقوة المادية العنيفة أن جعل الحضارة الغربية تدوس كل القيم والمعايير التي تتعارض مع هذا السعي خاصة أنها حضارة لا تؤمن إلا بالعقل ووجود المادة، فلما عبدت هذه الحضارة المادة وأخلصت لها تفوقت على بقية الحضارات الأخرى، لكن هذا التفوق جاء على حساب صانع هذه الحضارة وهو الإنسان من عدة مجالات: أخلاقية ونفسية إنسانية، هذا أمر ولد صراعات داخلية وخارجية خاصة أنها حضارة «البقاء للأصلح» وحضارة تشعر بالتفوق على الغير، لذلك واجهت هذه الحضارات قوى أخرى ترفض تلك القيم والمبادئ والمفاهيم بل وتستعد لإبراز نفورها من حضارة المادة الزائفة[٢].

لذلك قامت صحوة إسلامية جديدة تسعى لإعادة الحياة في ظل الإسلام وتعاليمه الفاضلة.

أما موقف الإسلام من الحضارة الغربية: فقد قامت الحضارة

---

(١) ديورانت، قصة الحضارة، ج١١؛ ص٤٠٨.
(٢) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٧٨.

الغربية على ما قدمته الحضارة الإسلامية من منجزات علمية وقوانين ونظريات عملت على تطويرها، وبالتالي برز تفوقها في جميع المجالات خاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا وهو الأمر الذي ميز هذه الحضارة.

وهنا نطرح سؤالاً: هل أخذت الحضارة الغربية من العلوم الإسلامية المنهجية العلمية، ما هي نظرة الإسلام للعلم؟

قدم الإسلام العلم والعلماء وجعل مداد العلماء أرفع من دماء الشهداء وحث على طلب العلم وإيصاله للغير، كما حرم احتقار العالم ومنعه عن الناس.

ولما أظهرت الحضارة الغربية تفوقها المادي والعلمي كانت قد اتخذت مساراً مخالفاً، كما كان معروفاً وإن كانت علاقة انتقال العلوم والتقنيات من حضارة إلى أخرى أمراً مشاعاً إنسانياً عاماً. فلا يصح أن تقام الحواجز في وجه الحضارات الأخرى الراغبة في نيل هذا العلم.

ولكن الحضارة الغربية جعلت الأمر احتكاراً، وذلك عن طريق بيع تلك العلوم والتقنيات بأغلى الأسعار مما يؤدي لحرمان الإنسانية من الاستفادة منها. ولقد سارت معظم الشعوب على منوال هذه الحضارة فأصبحت كل حضارة تتكتم على ما لديها من علم وتقنيات[(١)].

أمّا من حيث الهدف الذي ارتسمته تلك الحضارة من وجود العلم

---

(١) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٦٥.

والتكنولوجيا والذي سبق أن ذكرناه (احتكار الشعوب واستنزاف ثروتها وإبقاء هيمنتها عليها لإضعافها) لا يتماشى مع ما يهدف إليه العلم من صلاح وخير للبشرية، لذلك توجب على الحضارة الإسلامية أن تحدد هدفها من تلك العلوم بحيث تأخذ بما يوافق مسارها الذي أنشأته.

وإن احتكار الحضارة الغربية للعلوم يهدف إلى عدة أمور منها:

١- السيطرة على العالم وإخضاعه لسلطانها حيث شهدت المجالات التقنية المتعلقة بالأسلحة تطوراً مذهلاً.

٢- خدمة الأقلية المتسلطة لا لخدمة المجموع الإنساني، ونلاحظ ذلك من خلال بناء المستشفيات والمجمعات والمنتجات الفخمة التي لا يستطيع بلوغها غير فئات قليلة، كذلك إهمال العلاج الطبيعي وعدم التركيز عليه، لأن ذلك لن يخدم مصالح شركات الأدوية العالمية الكبرى[1].

٣- تطوير البضائع الاستهلاكية حتى يتم إغراق الأسواق الاستهلاكية بالمفيد وغير المفيد.

وهناك جانب آخر وإن كان غير مباشر وإنما ناجم عن السياسة التي تنتهجها الحضارة الغربية في تطويرها، وهو تدهور البيئة والطبيعة التي هددت حياة الإنسان بالخطر قبل حياة الحيوان والنبات.

الطريقة التي تطورت بها المدن الأوروبية أصبحت مقياساً مفروضاً

(١) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٦٦.

على شعوب العالم كله بغض النظر عن مناسبة مناطق البيئة، أضف لها إلى ذلك التقاليد والقيم والأخلاق والعلاقات الإنسانية. وبذلك أصبحت الشعوب الأخرى مقلدة لهذه الحضارة الغربية.

أما أهداف الإسلام من العلوم فكانت على النقيض تماماً من هذه الأهداف، فلو أخذنا مثالاً منهج ابن سينا الطبي الذي كان يسير عليه لرأينا اختلافاً كبيراً بين الأهداف التي كان يرمي لها وبين الأهداف التي ارتسمها الغرب لأنفسهم بعد أن أخذوا ما يهمهم من قانون ابن سينا الطبي.

فنجد ابن سينا هدف إلى إقامة وحدة بين الفرد والمجتمع والروح والعقل والخير والطبيعة والبيئة، وكان يعالج الأمراض في ظل هذه الوحدة وبالاعتماد عليها وعملاً على إنمائها بالمكتشفات العلمية والنفسية أمّا الطب في الغرب فقد أخذ باتجاهات وحيدة الجانب[1].

يقول عز الدين فراج: «كان ابن سينا يرى وجوب العناية بالجانب الخلقي في التربية حتى ينشأ الطفل منذ نعومة أظافره نشأة دينية» ويقول في ذلك: «إن للقدوة الحسنة والمعاشرة الطيبة أثراً كبيراً في الخلق..»[2].

إذاً اختلاف الأهداف بين الحضارتين دليل على مخالفة الإسلام

---

(١) شفيق، الإسلام ومعركة الحضارة، ص٦٦.

(٢) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية (د.ط)، (القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت)، ص١٤٤.

لمظاهر الحضارة الغربية، وذلك ما وضعته من أهداف أخرت الفرد والمجتمع والشعوب بأسرها.

والأمر لا يقتصر على الطب وحده، وإنما ذكرناه كمجال من المجالات العلمية، أما في مجال الفلسفة فقد ذكر الغرب أنفسهم أخذهم بمناهج ابن رشد من الجانب الفلسفي البحثي العقلي، وتركوا كل ما له صلة بالحضارة الإسلامية. لذلك ترى الحضارة الإسلامية ضرورة تحديد أهدافها وفلسفتها في الحياة والوجود قبل الأخذ بالعلوم الغربية وذلك لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بين قيام هذه العلوم ومظاهر الحياة الحضارية.

إذن لابد أن نسأل أنفسنا: ماذا نأخذ من الحضارة الغربية؟ وكيف يمكن أن نشق طريقاً في مجالات العلوم والتقنيات حتى لا تتغير عاداتنا وأخلاقنا الإسلامية؟

ولما كان الإسلام يعمل على إقامة مجتمع إنساني موحد في جميع المستويات الإنسانية قائم على الإيمان بالله ثم تنظيم مختلف شؤون الحياة ضمن أهداف لا تتفق مع الأهداف للحضارة الأوروبية وأسس غير الأسس الغربية التي لا تهدف إلى الاهتمام بالحاجات الروحية والنفسية والمعرفية. كان لابد للإسلام أن يسعى إلى إقامة نظام رفيع يحكمه العدل والحق والتوازن بين الطبيعة والفطرة بعيداً عن رؤية الغرب القاصرة للحياة خاصة أن رسالته عالمية توجب عليه ذلك، لذلك سيقف أمام التحديات التي تحاول أن تعصف به ليقول كلمته الأخيرة في حق الشعوب والحضارات في هذه الحياة تلك الحقوق التي

لن تستطيع أي حضارة أن تقدمها للإنسانية، لأنها أهداف الحضارة الإسلامية وحدها وهي القادرة على تحقيقها بإذن الله.

٥- العوائق التي تواجه الحوار الحضاري:

١- عقد الاستعلاء والغرور التي تحكم الغرب وإرادة الهيمنة والاستغلال[١] وعن هذا العائق يقول رافسنجاني «الهجوم الرئيسي الذي يشنه الاستكبار يستهدف العالم الإسلامي، فهم لا يرون في المسيحية والبوذية والهندوسية وفي أفكار من هذا القبيل خطراً وحركة جدية في مقابل الاستعمار، لأن هذه الأديان فارغة لا تحتوي على أي مضمون، أما اليهودية فهي بذاتها غارقة في الماديات، والصهيونية تعد رفيق الاستكبار الرئيسي في هذه العملية، والخطر الرئيسي الذي يهدد هؤلاء هو العالم الإسلامي الذي يضم أكثر من مليار إنسان مع بحر من المعارف وهو الذي يتعرض لهجومهم»[٢].

وهكذا كانت النظرة الغربية للإسلام نظرة ترى في الحوار معه منطقاً غير متكافئ.

٢- وسائل الإعلام العالمية التي تستغل أمريكا هيمنتها هي وحلفاؤها عليها لتجعل منها سلاحاً من أفتك الأسلحة التي تستخدمها في حملتها على العالم الإسلامي. حيث تروج للشعارات التي

(١) جارودي، حوار الحضارات، ص٢٨٣.

(٢) مبروك، الإسلام والغرب، ص٥٠.

تستعملها لتشويه صورة الإسلام في صور تصف الإسلام بالأصولية، التشدد، التطرف، العنف، والإرهاب، ولهذه العبارات تأثير على إثارة الرأي العام العالمي وتخص بالذكر الأوروبي والأمريكي بصفة خاصة.

ونضيف إلى ذلك كل وسائل الإعلام بدءاً من الكتاب المدرسي انتهاءً بوسائل الاتصال الحديثة من مسموع ومقروء ومرئي خاصة بعد أن حولت ثورة الاتصالات العالم إلى قرية صغيرة.

إضافة إلى ذلك عدم توفر إعلام عربي إسلامي يبين حقيقة الإسلام للغرب. يقول الأمين العام للغرفة التجارية الفرنسية عثمان رافيون: «المسلمون في أوروبا بحاجة إلى مزيد من الأدوات المعرفية والإعلامية لبيان حقيقة الإسلام»[(١)].

٣- وجود المرتزقة والمنافقين والانتهازيين النفعيين الذين يجدون في الصراع فرصة لإنماء مصالحهم خاصة أننا نجد من أبناء المسلمين من يشارك الغرب في حملاته الأمريكية على المسلمين، وذلك بالاشتراك في شتى الوسائل والسبل من تضليل إعلامي وتحريف في مفاهيم الإسلام وأحكامه. وفي ذلك يقول المبروك: «.. ويعاونهم في ذلك اتباعهم من العلمانيين عندنا الذين يعز عليهم أن يكون للإسلام دور فاعل في الصراع العالمي، لأن هذا بذاته يسقط مشروعية وجودهم وما يدعونه من مشروع بديل للفراغ الإسلامي مزعوم في الجانب الحضاري

---

file://c:Docamenc and sellngs/pcllviy Docum. (١)

حيث يعملون على إيهام الناس بأن الإسلام مجرد دين روحي لا علاقة له بالشئون الدنيوية»[1].

٤- وجود فئة من الإسلاميين المتمسكين بالصراع على اعتبار أنه منظور الإرث التاريخي، وهو استمرار للصراع الصليبي الإسلامي خاصة في ظل أن البعض عمل على استقطاب الحركات المتطرفة التي تستخدم نفس أدوات الغرب غير المشروعة والمعادية للإنسانية والتي تتجاوز قواعد المنظومة في الصراع والمواجهة.

وهكذا كان استخدام الغرب للقهر وعدم العدالة وسيلة لإعاقة الحكم الإسلامي سبباً جوهرياً لاتخاذ بعض الجهات والمنظمات الإسلامية نفس السلاح لتنفيذه وهو نتيجة حتمية لما سمي بالإرهاب.

٥- الموقف السلبي الذي تقفه بعض الجهات الغربية المنصفة من قضية الحوار أم الصراع، هذه الجهات التي أدركت خطورة الموقف وعبرت برأيها ولكن لم يكن مسموعاً بما فيه الكفاية خاصة أنها وجدت في الإسلام بديلاً آخر لم تحققه الحضارة الغربية للشعوب، وذلك يعود لأنه يجمع بين العقلانية والروحانية التي لمسها الغرب بتقديمها كعقيدة جذبت العقول المفكرة من العلماء والمفكرين والفلاسفة المنصفين.

٦- وجود القضايا الساخنة المعلقة بدون حلول ولا حتى أنصاف الحلول كقضية فلسطين، حيث يعتبرها المسلمون قضيتهم جميعاً خاصة

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٦١

أن أمريكا تتبنى الصهيونية وتدعمها، وملف العراق حديث الساعة وقضية أفغانستان التي ما زالت تحمل في طياتها الكثير من الأحداث والتي على ما يبدو وقعت تحت الهيمنة الأمريكية والأوروبية، هذا إضافة إلى غيرها من القضايا الإسلامية الموجودة في كل بلد عربي أو إسلامي.

٧- الاستعمار الاقتصادي الذي ما زال مستمراً في نهب موارد المستضعفين وفي مقدمتهم الشعوب الإسلامية، لذلك نجد هناك رغبة الغرب المستمرة في استنزاف ثروات وخيرات الأراضي الإسلامية التي يعتبر الغرب أجزاء كبيرة منها من ممتلكاته الخاصة، وهذا دليل على الحقد الدفين الذي يشنه الغربيون على العالم الإسلامي.

٨- الرعاية الاجتماعية والتي هي مطلب كل الشعوب من حكوماتها. إذ إنَّ بعض الحكومات تبدو عاجزة عن تقديم تلك الرعاية بسبب افتقارها للموارد الطبيعية والثروات كالنفط مثلاً: الذي ساهم بشكل كبير في إنعاش كثير من الدول العربية والإسلامية.

٩- الجانب السلبي للاستشراق الذي يحاول أن يزعزع ثقة المسلمين بدينهم وعودة شخصيتهم بطمس معالم حضارتهم الإسلامية، فهؤلاء المستشرقون لم يفهموا الإسلام وحقيقته، ومن فهمه لابد أن يتخلى عن نوازع الحقد والضغينة التي يحملها على الإسلام ومبادئه السامية.

٦- عوامل نجاح الحوار:

ونبدأ هذه العوامل بسؤال: كيف ينجح الحوار؟ إن الحاجة إلى حوار هادف يقوم بين الثقافات والحضارات عموماً وبين الإسلام والغرب بشكل خاص تنبع أساساً من طبيعة هذا العصر الذي اشتد فيه الصراع، وفشا فيه النزاع حول المصالح واكتسب فيه تعامل البشر بعضهم مع بعض طابع الحدة والضراوة، بينما تراجعت القيم الإنسانية السامية التي تحض على التسامح والتراحم وتهدي إلى الإيثار.

وبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب تقوم الضرورة القصوى لتهيئ الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار، لإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة والغايات المرجوة.

وإذا أردنا أن نخص بالذكر الغرب كحضارة ترى ضرورة الصدام مع الإسلام كدين يهدد مصالحها نذكر وجهة نظر كل من الطرفين حول إمكانية اللقاء والتحاور.

يقول المبروك: «إن الصدام بين الإسلام والغرب (الأمريكي) هو صدام حتمي طالما استمرت دوافعه»[1] التي سبق أن ذكرناها كدوافع ومعوقات للحوار الحضاري بين المسلمين والغربيين، بين الإسلام

---

(١) مبروك، الإسلام والغرب، ص٦٧.

والمسيحية، بين الحضارتين الإسلامية والغربية. فالمسلمون يطالبون لإنجاح الحوار بظر الطرف الغرب لقضاياهم حتى لا يحدث الصدام الذي يراه معظم المفكرين والعلماء والفلاسفة حتمياً تبعاً لاختلاف الرؤية الإسلامية والرؤية المادية للكون فهم يطالبون بحلول لأهم ثلاث قضايا مهمة يرون في علاجها إمكانية للتخفيف من حدة الصدام وهي كالتالي:

١- الهيمنة الأمريكية التي تفرض سيطرتها على الحكم الإسلامي باعتباره خطراً تحاول القضاء عليه، لأن في وجوده إعاقة لمصالحها ورؤيتها المستقبلية.

٢- تبنيها للكيان الصهيوني المغتصب للأراضي الإسلامية المقدسة في القدس وفلسطين.

٣- النهب الاقتصادي المنظم لموارد المسلمين، وذلك من خلال فرض ومساندة الأنظمة الفاسدة والمستبدة على وجه الخصوص.

وعلى أثره فهم يطالبون هذه النظرة الغربية برؤية أكثر عدالة ومصداقية حتى يستطيعوا تحقيق اللقاء وتخفيف الصدام.

أمّا الرؤية الغربية للصدام فتبدو حتمية وضرورية، وذلك يعود لأن مطالب الغرب تتمحور حول أمور عديدة لا يمكن للإسلام التنازل عنها وهي كالتالي:

١- القضاء على الإسلام كدين خطر يهدد الغرب وحضارته بما يحمل من عقيدة ومبادئ وقيم وتعاليم.

٢- الإيديولوجية الإسلامية كنظام شامل دنيا ودين خطر يهدد الكيان الصهيوني الذي ترعاه النظم الغربية بكل مستوياتها بل تعمل على دعمه وتأييده ليصبح واقعاً ملموساً لا مفر منه.

٣- إبقاء السيطرة الغربية على الدول العربية والإسلامية والذي بفقده يفقد الغرب النفوذ والأموال خاصة منطقة العالم الإسلامي أكثر المناطق حيوية وأهمية.

إلاّ أن هناك رؤية إسلامية مسيحية طموحة ترى إمكانية اللقاء والتعارف من أجل حوار حضاري يجمع المسلمين بغيرهم لحل قضاياهم وإبداء آرائهم ليتعرف كل منهم على الآخر وعلى ما لديه من مخزون حضاري وفكري ثقافي، ويرى أن تحقيق هذا اللقاء لم يكن إلاّ من خلال عدة شروط.

أولاً: التعارف، يقول حسن عزوزي: «نرى أنه لا قيمة للحديث عن الحوار بين الحضارات والأديان إذا لم يسع اتباع كل حضارة أو دين إلى التعرف أكثر على الحضارات الأخرى وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها ومثلها قصد تصحيح المفاهيم الخاطئة والمغلوطة التي تكون قد تكونت بفعل ظروف وعوامل تاريخية وإيديولوجية معينة». **ويرى أيضاً:** «إن من أكبر أسباب عدم نجاح كثير من لقاءات الحوار التي تعقد بين

الفينة والأخرى بين الجانب الإسلامي والجانب النصراني، كون الأخير لم يستطع حتى الآن تمثل قيمة الإسلام الحضارية وسمو مبادئه وتعاليمه الروحية التي تدعو إلى قيم السلم والأمن والتسامح مع الذات ومع الآخر»(١).

ويقول في موضع آخر: «أما الحوار الذي يباشر بشكل مفاجئ فلا يعني بالضرورة حصول تعارف، فكم من لقاءات حوارية باءت بالفشل لأن أطرافها لم ينسجوا أواصر التعارف»(٢).

وقيام حوار على التعارف يتطلب الاعتراف ليس فقط بالنظم السياسية والسلطة أو النظم الثقافية، ولكن يشمل المعتقدات الدينية ونظام القيم والعادات والتقاليد. أي بمعنى الاعتراف بكل نواحي التجربة الإنسانية للمتحاورين(٣).

وفي هذا السياق أكد الكاتب البريطاني جيمس بيل أن الإسلام دين حضارة وقوة عالمية، وأنه إذا كان على المسلمين أن يبذلوا جهدهم لفهم الغرب فإن الغرب يجب أن يتلقى الكثير من الدروس لفهم الإسلام. وذكر مقال نشرته مجلة Insight Middie East: قال فيه: «إن الإسلام منهج حياة يمارسه أكثر من مليار و ٢٠٠ مليون مسلم،

---

(١) من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، ص ص ٤٤ -٤٥
(٢) عزوزي، من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، ص٤٥.
(٣) قانصوه، إيديولوجيا الحضارات، ص٩٩.

وأنه أسرع الديانات نمواً»[١].

ويرى علي عزت بيجوفيتش: «أن أزمة الحوار قائمة على أحادية التفكير وازدواجية الفهم لدى الديكتاتورية الغربية». والتي خلقت نظرة الاستعلاء وخلقت بدورها الصراع. ويقول: «إن الغرب لم يفهم الإسلام لأن كل مفكر وسياسي حاول أن يأخذ منه نفسه، فالمادي الملحد فقط لم ير فيه المادية وكره فيه ما عداها، والروحاني.. فقط لم ير فيه الروحانية وكره ما عداها والحق أن فيه الشيئين معاً..»[٢].

ثانياً: الابتعاد بالحوار عن الموضوعات التي قد تؤدي إلى التعصب والخلاف، خاصة في حوارات الأديان حول أمور اللاهوت المعقدة والتركيز على أن يقع الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى ضمن قاعدة الإيمان بالله والتفاعل والتعامل في ظل هذا الإيمان، ولن يكون هناك حوار إلا إذا عمل على محاربة التعصب الذي تمارسه المسيحية التي ترى الإسلام نقيضاً لها وعائقاً يحول دون انتشارها. إضافة إلى ذلك محاربة كل تعصب إسلامي يتنافى مع تعاليم القرآن.

ثالثاً: تعميم مبادئ العدل والإنصاف والموضوعية الجادة والاحترام المتبادل بين المتحاورين قبل بداية الشروع في الحوار الحضاري

---

(١) www.daawaparty.com.

(٢) الايسيكو، حوار الثقافات والحضارات ضرورة إنسانية، (مجلة الإسلام اليوم)، العدد ٢٨، ١٩٨٣م، ص١١.

«ولعل قاعدة الاحترام المتبادل للأفكار والمبادئ والتصورات والاتفاق على القدر الكافي من الموضوعية والجدية، وتحديد الأهداف بدقة متناهية هي أقوى ضمان للوصول إلى اقتناع مشترك بحصيلة من النتائج التي من شأنها أن تعزز الجهود الإنسانية الصادقة التي تبذل من أجل تقوية أسباب السلم في مدلوله العام.

رابعاً: العناية بحسن اختيار المتحاور، بأن يكون متخصصاً في الموضوع ليكون قادراً على التعبير الصحيح[(١)].

خامساً: تحديد الأهداف الرئيسية والفرعية من عملية الحوار بين الحضارات وذلك لترتيب قائمة الموضوعات والقضايا التي ينبغي أن يشملها الحوار، وأن تهدف تلك الأهداف من إقامة الحوار العدل الذي لن يتحقق إلا بالتسليم بحق الإنسان في أن يحيا في وئام مع نفسه ومع الآخرين، وأن يعيش في سلام شامل ينعم فيه بحفظ كرامته وإنسانيته، واعتقد أن من المهم تناول القضايا الحيوية والمسائل العملية والموضوعات ذات الاهتمام المشترك، والتي بدورها تكون ناتجة لمناقشة موضوعات أخرى إذا ساد العقل والمنطق أجواء المتحاورين حيث يعتبر هذا المنهج الحضاري المطلوب اتباعه. إلاّ أن البعض ممن سيطرت عليه روح الهيمنة والحرص على مصالحه يتجاوزه على حساب القيم والمبادئ وحقوق البشر. وإن هذا التجاوز هو الذي يخلق دوافع مبررات الاتهام في فرض الثقافة الغربية حضارتها على الحضارات الأخرى.

---

(١) العسال، حوار الحضارات، ص٦١.

أما حول قضية الحوار بين الإسلام والغرب فإن على المسلمين يقع جزء كبير من المسؤولية خاصة أن القضية تتناول مفهوم الشعوب الغربية للدين الإسلامي، فمن الأمانة أن يقوم المسلمون بإيضاح حقيقة هذا الدين وتصحيح الصورة الخاطئة التي ألصقت به وبالمسلمين. يقول جعفر إدريس: «إن مشكلتنا نابعة من داخلنا وليس الغربيون هم الذين يمنعوننا من أجل أن نجعل أمتنا شامخة»[(١)].

لذلك كان لابد من إيجاد بعض النقاط التي تعمل بها الأمة الإسلامية حتى تعيد لنفسها مجدها وبالتالي ستكون قادرة على العودة من جديد كأمة إسلامية قوية.

كما أنه من المعروف أن الغرب ينظر للعالم الإسلامي نظرة فوقية، ويرفض محاورة حضارته الغربية المعاصرة للحضارة الإسلامية، وذلك لما يراه من باب عدم التكافؤ، فكان لابد للمسلمين أن يصلحوا أمورهم الداخلية أولاً ثم ينظروا إلى قضية الحوار مع الغرب، ولكي يتحقق ذلك نبدأ أولاً:

قضية الوحدة الإسلامية:

إن إحساس الأمة الإسلامية بحاجتها إلى اللقاء والتعاون نابع من واقعها الذي أضرت به الخلافات وأنهكتها النزاعات التي كانت سبباً لضعفها وضياع حقوقها في عصر لا يعرف له طريق للضعفاء، قال

---

(١) www.jaafaridis.com.

تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١).

لذلك ارتفعت أصوات الصادقين من الأمة الإسلامية يرون وجوب اجتماع الكلمة التي لابد أن تتجاوب لها جميع الأقطار الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٢) ومن ذلك ما ذكره أحمد الطيب مفتي مصر بقوله: «إن العالم اليوم يموج بصراعات كثيرة، وإن هذه الصراعات تحتم على العالم الإسلامي أن يتجه إلى الوحدة، خاصة أن العالم بدأ عصر التكتلات وحماية المصالح، وبالتالي فإن علينا أن نسعى إلى الوحدة والتآخي والتعاون وتصفية الخلافات»(٣). ولكي تحقق الأمة هذا الهدف فتوحد صفوفها وتسلم شعثها لابد لها من إدراك أو تصحيح للأسباب التي كانت وراء هذا الواقع السيئ والتي منها:

أولاً: انحراف العقيدة، تعتبر من أخطر الانحرافات التي تعرضت لها الأمة الإسلامية حيث هدف البعض من المنحرفين إلى استبدال المبادئ الظافرة بعقيدة التوحيد، يقول جعفر إدريس: «المسلمون منقسمون بين من يريد بناء الحياة على أساس الإسلام ومن يريد بناء الحياة على العلمانية الغربية»(٤).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) www.docuems and sand sellings.com.

(٤) www.jaafaridis.com.

أمّا مصطفى صبري فيرى: «من البلية أن الحركات التي تثار في الأزمنة الأخيرة ترمي إلى محاربة الإسلام في بلاده بأيدي أهله، والتي لاتشك أنه الكفر وأخبث أفانينه..»، ويقول في مكان آخر: «لكن البلاد الإسلامية عامة مباءة اليوم لفئة تملكوا أزمة النشر والتأليف، ينفثون من أقلامهم سموم الإلحاد غير مجاهرين بها وربما يتظاهرون بالدين»[(١)].

كذلك نجد الانحرافات الطائفية القديمة التي لا تزال قوية تخالف بعقيدتها عقيدة الإسلام التي جاء بها الرسول ﷺ. ونذكر منها: الشيعة والصوفية والقاديانية والبهائية.

أضف إلى ذلك إهمال العديد من الناس العبادات مع عدم التزام البعض بالأداء الصحيح لها.

ثانياً: محاربة الشريعة واستبدال القوانين الوضعية: وكان ذلك من آثار الاستعمار العسكري والفكري الذي فرق الأمة وأفسد عقليتها.

ولقد حظيت الفئة التي شجعت على هذا الأمر بعناية ورعاية الاستعمار لها، فعملت بعض الفئات على محاولة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الوضعية. وقد ذكر الخضر الحسين ذلك بقوله: «فاخترع هؤلاء طريقاً حسبوه أقرب إلى نجاحهم وهو: أن يدعوا إلى

---

(١) مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (د.ط)، ج٤، القاهرة: دار العلم (د.ت)، ج٤، ص٢٨١.

الإسلام: توحيد وعبادات ويجحدوا أن يكون في حقائقه ما له مدخل في القضاء والسياسة..»[1].

ثالثاً: انتشار الجهل في الأمة الإسلامية بين قياداتها وشعوبها حتى أصبح كثير منهم لا يعرف عن دينه إلا اسمه، فلا يعرف أحكامه وعقائده ولا أخلاقه وآدابه. مما سهل على أعداء الله أن ينشروا ضلالهم ويبثوا سمومهم، بل وسهل عليهم أن يصنعوا لهم عملاء من أبناء المسلمين يحاربون عقيدة المسلمين وينشرون الضلال في صفوفهم. قال محمد كرد علي: «أصبح الناس بعد المائة السادسة تفتر هممهم في طلب العلم ورغبوا عن الافتتان بفنونه، وحصروا نطاقه وعفوا بعض معالمه فأصبحت مجاهل وكثرت البدع وكثر الدعاة إليها والتعديل إليها»[2].

رابعاً: الاستعمار العسكري لبلدان المسلمين، فعندما جاء الاستعمار كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة، وعندما خرج منها تمزقت وتحولت إلى دويلات وإمارات مما زرع الاختلاف وتعدد المجتمعات وتمزقت وحدة الأمة.

قال برنارد لويس: «وفي آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن

---

(١) وسائل الإصلا ح، ج١، (القاهرة: مطبعة جامع الأزهر، (د.ت))، ص ص ١٠٥-١٠٦

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، ج٢، (الرياض: دار الوطن، (د.ت))، ص٤٥.

العشرين تعدلت وتغيرت الولاءات التي كانت قائمة للخلافة الإسلامية القديمة إن كانت تحكم العرب والعجم والترك وحلت محلها أفكار ممزقة مبعثرة أوروبية هي مزيج من الوطنية والقومية ونظريات خيالية عن الوطن والقوم صحبت الحقائق القديمة الواقعية في الدولة والعقيدة»[(١)].

خامساً: الغزو الفكري، حيث لم يكتف الاستعمار بتحطيم الخلافة الإسلامية وتفريق الأمة إلى دول وشعوب ونهب خيراتها وتشتيت ولاءاتها، بل أضاف إلى ذلك غزو العقول والقلوب بشعارات ومبادئ جديدة تفسد العقول وتخرب القلوب ليقر لهم السيطرة والنفوذ ما دامت هذه الشعارات والمبادئ تحكم هذه البلاد.

ويذكر محمد الصواف وسائل الاستعمار والجبهات التي تشترك في ذلك الغزو وأنها تعمل: «سراً وجهراً لأهداف الاستعمار التي يرمي من ورائها إلى إيقاف الوعي الإسلامي وصد المسلمين عن دينهم إبقاء لسيطرته ونفوذه في بلاد المسلمين. ويسعى إلى سرقة ثرواتهم والسيطرة عليهم فكرياً وسياسياً واقتصادياً..»[(٢)].

ولكي يتمكنوا من ذلك بذلوا كل الجهود لإشاعة الفساد في

---

(١) أحمد الغامدي، الوحدة الإسلامية، (الرياض: مؤسسة الجريسي، ١٤١٠هـ)، ص٢٩.

(٢) محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص ص٩٩-١٠٠.

المجتمع وزرع الشكوك في العقول الإسلامية وقتل الطموح في نفوس المسلمين وبث الفرقة والشقاق حتى تعاونت جميع أجهزة الاستعمار لتحقيق أهدافه.

يقول أنور الجندي: «ولا ريب أن اليهودية العالمية هي التي أثارت في العالم الإسلامي تمزيق وحدة العروبة والإسلام للحيلولة دون الوحدة وعملاً على تمزيق التجزئة الإقليمية»(١).

كذلك يعترف اليهود بذلك في بروتوكولاتهم حين يقولون: «ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها»(٢).

كانت تلك هي الأسباب في تأخر الأمة الإسلامية وعدم ثقة الغرب فيها حيث نُقلت إليهم الصورة المشوهة للمسلمين فبنوا عليها فكرتهم عن الدين الإسلامي حيث لم يفرقوا بين الدين الإسلامي وحال المسلمين.

ولكن تستطيع الأمة أن تعيد تأسيس نفسها وتحقق وحدتها وذلك لما تملكه من أسس مشتركة فيما بينها، فهي أمة واحدة ذات دين واحد وكتاب واحد ورسول واحد، فإذا أدركت جيداً والتزمت فإن ذلك يجعل منها أمة تلتقي على:

---

(١) الإسلام والعالم المعاصر، (مصر: مكتبة التراث الإسلامي، (د.ت) ص٤٢٧.

(٢) الغامدي، الوحدة الإسلامية ، ص٣٣

أولاً: وحدة الغاية:

وهي عبادة الله قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] والمسلمون يدركون هذه الغاية، ولكن فرطوا في القيام والعمل بها، مما كان له أسوأ الأثر في حياتهم[2]. إذن لابد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية.

ثانياً: وحدة العقيدة:

رغم الانحرافات التي يعاني منها بعض المسلمين في عقيدتهم إلاّ أن الوعي الديني أيقظ الأمة لكنه في حاجة إلى من يوجهه وجهة صحيحة ليكون أساساً واحداً تجمع به الأمة شملها، ويقضي على المذاهب المنحرفة العقائد الضالة المتسللة إلى مجتمعات المسلمين.

ثالثاً: وحدة القيادة:

رغم تعدد القيادات في البلدان الإسلامية إلا أن المسلمين قيادة واحدة مهما اختلف المكان والزمان، وذلك لأن تلك القيادات تستمد شرعيتها من حقيقة قررها الله في كتابه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) الغامدي، الوحدة الإسلامية ، ص٣٦.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

رابعاً: وحدة التشريع:

من أسباب تمزق الأمة الإسلامية تعدد التشريعات وتنوعها تلك التشريعات التي لا صلة لها بها، ولا علاقة بدينها بل هي مضادة لدينها محاربة لعقيدتها[2]، فوقفت الفجوة بين التشريعات والواقع وحصل تصادم بين القيادات والشعوب بل بين القيادات نفسها.

وما لم يوحد التشريع الذي يحكم الأمة فيكون تشريعاً مستمداً من دينها القويم، فإن كل محاولة تشريع يحكم الحياة في المجتمع الإسلامي ستكون فاشلة ضالة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾[3].

إذن لابد من العودة إلى شريعة الله لاجتماع الأمة وتوحيد كلمتها. إضافة إلى ذلك فالأمة الإسلامية تحتاج إلى اقتصاد إسلامي قوي، ولن يتحقق ذلك إلا بتنمية مجالات مختلفة كالزراعة والصناعة والصحة في مختلف العالم الإسلامي.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) الغامدي، الوحدة الإسلامية، ص٤٣

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

ويذكر شلبي: «أن من المواقف الاقتصادية التي يجب أن يبرزها القضاء على فكرة التطبيع مع إسرائيل»[1] خاصة أن هناك بعض الدول العربية ما زالت على علاقات تطبيع مع إسرائيل رغم رفض شعوب العالم الإسلامي لها.

وعندما تنتهي الأمة من إصلاح نفسها تبدأ في النظر لبعض الحلول والمقترحات التي تساعد على إزالة العوائق التي تقف أمام الحوار الحضاري الإسلامي المسيحي والتي منها:

١- نبذ فكرة الحرب والصدام الحضاري لكلا الطرفين .

جاء في التصريح الختامي لمؤتمر فيينا: «إنا نهيب بجميع المسيحيين والمسلمين في العالم كله أن ينبذوا الحرب وأن يعطوا هم أنفسهم مثالاً للسلام»[2] .

خاصة أن الدراسات أثبتت أن الحرب لا تحل المشكلات وإنما تؤدي إلى ظهور مشكلات جديدة.

كما أنَّ الصدام الحضاري هو من ابتكار الغرب خاصة عندما رأى الغرب بعد سقوط الاتحاد السوفياتي أن الإسلام العدو الأول له، ويبدو

---

(١) شلبي، صراع الحضارات، ص٢٨٤.

(٢) المؤتمر الإسلامي المسيحي لعام ١٩٩٣م، سلام للبشر، تحرير: اندراوي بشته وعادل ثيودور خوري، ط٢، (بيروت: المكتبة البوليسية، ١٩٩٨م)، ص٣٥٦ .

في إثارة مثل هذا الأمر ما يدل على أن الغرب يفتقر إلى التراث المسيحي والخلقية المسيحية، فأصول الإسلام وأصول المسيحية تقتضي تحالفهما لا الصراع بينهما.

٢- محاولة الاستفادة من التراث التاريخي التعاوني المشترك:

خاصة أن هناك نقاط التقاء بين الحضارتين منذ القدم لذلك لابد من غرس هذا التراث في مجال التربية والتعليم حتى تحدث القناعة بأن السلام من صنع الأديان السماوية التي تعترف بالحضارات والثقافات الأخرى.

وقد دعا وزير خارجية النمسا إلى ذلك «واعتبر أن هذا يخدم السلام من خلال الاستفادة من الأحداث التاريخية التي تدل على السلام»[(١)].

٣- أن يعمل الطرفان الإسلامي والمسيحي على احترام الإرادة الدولية[(٢)]:

وذلك من خلال تنفيذ قرارات الأمم المتحدة والقانون الدولي من قبل الدول الغنية والفقيرة على السواء للمواثيق الدولية واعتبارها ملزمة.

٤- أن يعمل الطرفان على إقامة العدل من أجل السلام[(٣)]:

---

(١) المؤتمر الإسلامي المسيحي، سلام للبشر، ص٣٠.

(٢) محمود زقزوق، السلام في التصور الإسلامي، (د.ت)، (مصر: مكتبة التراث، ص٩٢.

(٣) فوليت الراهب، خطوات ومراحل في طريق السلام، ترجمة: عادل خوري، ط٢، (بيروت: المكتبة البوليسية، ١٩٩٨م)، ص٦٧.

وقد عقدت عدة لقاءات إسلامية مسيحية لتناول موضوع العدل والسلام واعتبار العدل هو أساس السلام وحجر الزاوية الذي لا غنى عنه.

٥- أن يعترف الطرفان بالأديان السماوية والحضارات والثقافات الأخرى[١]. لأن في ذلك تحقيقاً لمبدأ الإخاء الإنساني.

٦- أن يعمل الطرفان على حل التوترات والخلافات بروح الحوار وعدم استخدام القوة: خاصة أن العنف أصبح ظاهرة العصر. مع الإلحاح على بعض القيم الإنسانية والإسلامية.

٧- إشاعة التسامح[٢]: بأن يعمل كل طرف منهم على توفير الأمن لجاليات الطرف الثاني.

٨- أن يعطى للدول الإسلامية: «مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي»[٣].

كما أنَّ وجود صوت للدول الإسلامية في مجلس الأمن الدولي بشكل دائم يعطي الدول الإسلامية ثقتها للقرارات الدولية التي تصدر، ويعطي للقوة الإسلامية مكانتها بين الدول الأخرى.

---

(١) محمد مجتهد شبستري، أسس الحركة اللاهوتية، ط٢، (بيروت: المكتبة البوليسية ١٩٩٨م)، ص٢٢٦.
(٢) المؤتمر الإسلامي المسيحي، سلام للبشر، ص٤٤.
(٣) المؤتمر الإسلامي المسيحي، سلام للبشر، ص٣٤.

أما على الصعيد الإسلامي فإن هناك بعض المقترحات التي تعزز الحوار الإسلامي المسيحي ومنها القيام ببعض المشروعات.

١- إقامة خطة إسلامية قومية[١] تجمع جميع الأطراف الإسلامية وتتفق فيما بينها على وضع أسس هذه الخطة بحيث تلزم بها جميع الأطراف من منظمات ومؤسسات. مع العمل على تعديل تلك الخطة كلما اقتضت الحاجة وحسب متطلبات الموقف الإسلامي.

٢- إقامة إعلام عربي إسلامي موحد لخدمة قضية الحوار الحضاري توضح فيها تلك القنوات سماحة الدين الإسلامي، وتعمل على تصحيح الأخطاء والافتراءات التي ألصقت به من قبل المستشرقين والحاقدين ويكون باللغات الأوروبية خاصة الإنجليزية باعتبارها لغة عالمية تتداولها معظم الدول في العالم، وإعادة تقييم شبكات الإرسال التلفزيوني والإذاعي وما تقدمه القنوات الفضائية من مواد إعلامية وإخبارية وثقافية عن العرب والمسلمين. إضافة إلى تصحيح الخطاب الديني العربي الذي كثيراً ما استغل لتشويه صورة الإسلام ومبادئه[٢].

٣- أن تقوم الجهات الإسلامية بعملية النقد الذاتي للأخطاء التي تقع فيها حيث تعمل على تحديد الأهداف التي تسعى من خلالها،

---

(١) السيد يسين، حوار الحضارات نحو خطة قومية الحوار مع الثقافات الأخرى، (مجلة)، العدد ١٥٨، السنة: ١٥، ١٩٩٥، ص٤٦.

(٢) أحمد كمال أبو المجد، الحوار بين الحضارات، (مجلة الشئون العربية)، العدد ١٠٩، ٢٠٠٢م، ص٩٣.

خاصة بين العلماء والمفكرين والرؤساء الذين يقع على عاتقهم أكثر العبء، ونذكر من ذلك ما قاله حسني مبارك: «لا يريد المسلمون أبداً أن يعاملوا كإرهابيين يمارسون العمل السري في النظام العالمي الجديد بل إن المسلمين لهم مصلحة في التعاون على قدم المساواة مع جميع دول العالم، ولتحقيق ذلك يجب تصحيح الأخطاء وتحسين الصورة المشوهة عن العرب في أعين العالم. إن الأعمال الإجرامية التي يقوم بها المتطرفون يشكل خطراً جديداً يجب مكافحته بعد نهاية الشيوعية، وللأسف فإن الغرب يكوّن نظريته انطلاقاً من نشاط هذه المجموعات دون استيعاب أن الإسلام لا يشكل خطراً أيًّا كان..»[(١)]. إضافة إلى ما قام به سمو الأمير/ عبد الله بن عبد العزيز من دعوة العلماء والمفكرين المسلمين والغربيين لإقامة ندوة عن الحوار الحضاري عام ٢٠٠٢م[(٢)].

٤- أن تقوم الجهات المختصة بإنشاء مراكز معلومات متبادلة بين الدول الإسلامية والأوروبية يتناول جميع جوانب العلوم بحيث يمكن تنسيق العمل لإقامة لقاءات وندوات تنمي العلاقات الإسلامية الغربية حيث تعد مساراً جديداً للتعاون بدل طريق الصدام.

٥- أن تعمل الجهات الرسمية المتخصصة بدورها الفعلي وذلك بالاتصال بالجهات الأوروبية التي تدعو من خلالها أبناء الغرب المنصفين

---

(١) البنا، الإسلام والغرب، ص٢٩٣.

(٢) ندوة الإسلام وحوار الحضارات، (مجلة أصول المعرفة)، ص١١.

إلى الإسهام بدورهم في إنجاح التقاء الحضارتين عن طريق الحوار المتبادل، قال عالم الأديان «هانزكونج»: «إن ما يمكن أن يسمعه المرء أو يقرأه عن الإسلام في وسائل الإعلام الغربية، وما يقوله المثقفون عنه أمر مزعج ومخيف»[١].

٦- أن يقوم أبناء المسلمين في الغرب بدورهم الفعال من خلال الاحتكاك المباشر بالشعوب الأوروبية حيث يقدمون لهم نماذج حقيقية لما يجب عليه أن يكون المسلم، وتلك تعد أمانة في أعناقهم عليهم أن يؤدوها على أكمل وجه.

وهكذا نجد أن هناك العديد من المقترحات والحلول لإقامة حوار حضاري عالمي وإن كان العبء الأكبر يقف به المسلمون، ولكن لابد لهم أن يفيقوا من سباتهم وينتبهوا إلى مستقبل أمتهم وحضارتهم التي هي أمانة في أعناقهم.

وبذلك يكون قد اكتمل دور الجانب الإسلامي حيث أدى واجبه نحو إصلاح ذاته ومجتمعه، وأعطت الدول الإسلامية صوراً حقيقية لمجتمعاتها ضمن العدالة الاجتماعية التي كانت الرؤية الحقيقية للحضارة الإسلامية التي استطاعت أن تقطع الطريق على الجانب المسيحي متمثلاً في ساسته ومفكريه وممن وضعوا الصراع طريقاً لا مفر منه، فتفقد تلك السياسة المستبدة السبل للوصول إلى أهدافها، لذلك لابد من المبادرة

(١) البنا، الإسلام والغرب، ص٢٩٠.

السريعة إلى إصلاح الأمور التي لا تتطلب سوى العزم والصدق والعودة الصحيحة لتعاليم الدين الإسلامي . خاصة أن ساسة الغرب دخلوا على العالم الإسلامي مستعمرين باسم الحقوق الإنسانية والحفاظ على الأمن الدولي، وهي أسس مهمة في حضارتنا الإسلامية تنص عليها الآيات القرآنية، وتاريخ الأمة الإسلامية شاهد على ذلك، فلابد لنا من العودة إليها حتى تستقيم أمورنا، ويتعرف العالم من حولنا على قيمة حضارتنا التي هي الأنسب لتعود للعالم الجديد بمجتمع إنساني عالمي يحيا بالخير والأمان في ظل العدل والحق.



الخـــاتمة

وبعد: فـقد اسـتطاع الكتاب بمنهـجه الذي التـزمت به أن يأتي بالعديد من النتائج الـعلمية التي لا أستطيع ذكرها كلهـا، ولكن سأذكر بعضاً منها.

أولاً: أنَّ الخلفيـة التاريخيـة للحوار الحضـاري كانت بداياته منذ فجر الإسلام، وتابع مسيـرته حيث تجلى في عدة لقاءات حضارية تمت بين الفكر الغربي والفكر الشـرقي من خلال حركة التـرجمة التي بدأت منذ القرن الحادي عـشر في أسبانيا العربيـة، وبلغت ذروتها في القرنين الثاني عـشر والثالث عشـر بل استمـرت إلى وقتنا الحاضر، حـيث ما زالت الدراسات الحديثة تعطينا كل يوم الجديد في مجال الترجمة. ليس ذلك فحسب بل كان دور الحروب الصليبية في اللقاء الحضاري عميقاً، وذلك بانتقال المؤثرات الحـضارية الإسلامية إلى الغـرب، حيث أفرزت تلك اللقاءات بظهور التبشير المسيـحي «الدراسات الاستشراقية» الداعية إلى عقد المؤتمرات واللقاءات بين المسلمين والمسـيحيين عن طريق الحوار الديني.

ولقد كانت لتلك اللقاءات آثارها الإيجابية والسلبية، حيث نقلت الدراسات الاسـتشراقيـة المغرضة صـورة سيئـة عن الإسلام والمسلمين للشـعوب الأوروبية لـيس ذلك فحسـب، بل عمقت الحـقد الصلـيبي

الضغين في قلوب الأوروبيين، حتى نادت بحملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي.

ثانياً: أن معاني الحوار الحضاري ومدلولاته أقرب إلى اللغة العربية أكثر منها في اللغات الأوروبية.

ثالثاً: تعدد اشتقاقات كلمة حوار في القرآن الكريم دليل على إمكانيات القرآن كمعجزة ربانية خالدة.

رابعاً: أن المنظور الإسلامي للحوار ذو منهج أصيل يسير على توجيهات ربانية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية مما دل على أن مصطلح الحوار مصطلح إسلامي أصيل. أمّا المنظور الغربي للصراع فهو نابع من حرص الحضارة الغربية على مصالحها وهو ذو أهداف سياسية وليست دينية.

خامساً: أن تضارب وجهات النظر الغربية حول الصراع بين الإسلام والغرب دليل على خطأ المقولة السائدة حول حتمية الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.

سادساً: أنّ حضارة الإسلام حضارة شاملة ذات عقيدة ونظام حياة، فهي لا تنكر تعدد الحضارات والثقافات بل تتجاوب وتتعاون معها لإقامة حضارة إنسانية، وهي أيضاً تهدف إلى إقامة أمة واحدة عالمية تحت ظل الدين الإسلامي، حيث إن تعاليمه صالحة لكل زمان ومكان. لذلك فهي ترى إمكانية اللقاء والحوار من خلال التعاون

والتقارب بين الحضارات.

سابعاً: لتحقيق الحوار الحضاري لابد من توجيهات وشروط يلتزم بها المتحاورون لإنجاح عملية الحوار، أما اللقاء بين الحضارة الإسلامية والغربية فلابد للمسلمين من بذل الجهود المكثفة لتحسين الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين، والتي كان للإعلام الغربي دور مميز في ذلك، كما يقف على عاتق المسلمين أن يبدأوا بطلب اللقاء والحوار مع الطرف الآخر، حيث إن تعاليم ديننا الحنيف تحث على ذلك. بل إننا في حاجة ماسة لذلك حتى لا يقع الصدام كما تصوره السياسة الغربية.

وأخيراً.. أرجو أن يكون ما كتبته قد وفق في الإلمام بالموضوع، ولو بشيء بسيط يعود بالفائدة علينا إن شاء الله.

والله ولي التوفيق.

رجاء شوعي محمد حسين

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأصلية

(١) القرآن الكريم.

(٢) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، ت (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.

(٣) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، ت (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، المقدمة، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م.

(٤) الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، ت (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط١٤، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م.

(٥) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، ت (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، ط١، دمشق، مطبعة الجامعة، ١٩٦١م.

(٦) العسقلاني، ابن حجر بن أبي الفضل أحمد بن علي ت (٨٥٢ / ١٤٤٨م)، صحيح البخاري، مصر: دار مصر للطباعة، ٢٠٠١م.

(٧) ابن القفطي، جمال الدين أبي الحسن، ت (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء، العراق: مطبعة اليزبك، ١٣٢٠هـ.

(٨) ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر، ت (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٦٦م.

(٩) ابن هشام ، أبي محمد عبد الملك بن هشام ت (٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، السيرة النبوية (المعروفة بسيرة ابن هشام) ، ضبط وتحقيق: محمد علي القطب ومحمد الدالي بلطه، ج٢، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

المراجع العربية الحديثة:

(١٠) أحمد، عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٢، القاهرة: دار الفكر ، ١٩٩٧م.

(١١) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، بيروت: دارالفكر، ١٩٩٦م.

(١٢) البنا، رجب، الغرب والإسلام، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٧م.

(١٣) بكار، عبد الكريم، العولمة، ط٢، الطائف: دار البيان، ٢٠٠١م.

(١٤) الجندي، أنور، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة، (د.ط)، مصر: مكتبة التراث الإسلامي ، (د.ت).

(١٥) الإسلام والعالم المعاصر، (د.ط)، مكتبة دار الأنصار، ١٩٧٩م.

(١٦) الفكر الإسلامي ومقومات العلوم الحديثة، القاهرة: دار الأنصار، ١٩٧٩م.

(١٧) حداد، جوليت، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٥م.

(١٨) الحسن، يوسف، الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، أبوظبي، منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٧م.

(١٩) الحسين، محمد الخضر، رسائل الإصلاح، القاهرة: مطبعة جامع الأزهر، ١٩٨٠م.

(٢٠) حلمي، مصطفى ، إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، القاهرة: دار الدعوة، ١٩٩٦م.

(٢١) حسين، محمد، الإسلام والحضارة الغربية، ط٩، السعودية: دار الرسالة، ١٩٩٣م.

(٢٢) خليل، عماد، لعبة اليمين واليسار، القاهرة: (د.م)، دار الفكر، ١٩٨٢م.

(٢٣) الدجاني، أحمد صوفي، مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٩م.

(٢٤) أبودية، محمود، جمال الدين الأفغاني،(د.ط) مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م.

(٢٥) رسول، محمد رسول ، الغرب والإسلام ، الأردن: مطبعة جامعة الأردن، ٢٠٠١م.

(٢٦) زكريا، فؤاد، الإنسان والحضارة، (د.ط) القاهرة: مكتبة مصر، (د.ت).

(٢٧) زقزوق، محمود، السلام في التصور الإسلامي، (د.ط) مكتبة التراث الإسلامي، (د.ت).

(٢٨) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، قطر: دار الأنصار، (د.ت).

(٢٩) السرهيد، عارف محمد مفلح، المجمع الملكي للبحوث في الحضارة الإسلامية، عمان: مؤسسة آل البيت، ١٩٩٨م.

(٣٠) السماك، . محمد، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٨م.

(٣١) السيد، سعيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ط٢، القاهرة: دار الأرقم، ١٩٩٣م.

(٣٢) السباعي، مصطفى ، من روائع حضارتنا، الرياض: مكتبة الوراق، ١٩٩٩م.

(٣٣) سيد، عبد المنعم، حضارة مصر الفرعونية، (د.ط) القاهرة: دار المعرفة، ٢٠٠٠م.

(٣٤) شبستري، محمد مجتهد، أسس الحركة اللاهوتية، ط٢، بيروت: المكتبة البوليسية، ١٩٩٨م.

(٣٥) شلبي، أحمد، صراع الحضارات، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.

(٣٦) أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤، مصر: مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.

(٣٧) شفيق، منير، الإسلام ومعركة الحضارة، ط٢، بيروت: دار الكلمة للنشر، ١٩٨٣م.

(٣٨) الشرقاوي، عفت، فلسفة الحضارة الإسلامية، بيروت: دار النهضة، (د.ت).

(٣٩) صبري، مصطفى ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين(د.ط) القاهرة: دار العلم (د.ت).

(٤٠) الصواف، محمد محمود، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، مصر: المكتبة الإسلامية، (د.ت).

(٤١) عوض، محمد عبد الرحمن، الإسلام والأديان ضوابط التقريب بين البشر ومحاذير التقريب في العقيدة، (د.ط)، مصر: دار البشر، ١٩٨٩م.

(٤٢) عجك، بسام، الحوار الإسلامي المسيحي المادي والتاريخي، سوريا: دار قتيبة، ١٩٩٨م.

(٤٣) عاشور، سعيد عبد الفتاح، المدنية الاسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م.

(٤٤) حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، (د.ط) بيروت: دار النهضة، ١٩٧٦م.

(٤٥) عكاوي، رحاب، الفيلسوف ابن رشد، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م.

(٤٦) العلوي، هادي، حوار الأديان ضرورته وأطرافه، إعداد: سعاد حروس، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩م.

(٤٧) علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، الرياض: دار الوطن، (د.ت).

(٤٨) عبد الوهاب، أحمد، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، القاهرة: دار الأرقم، (د.ت).

(٤٩) عارف، نصر محمد، الحضارة- الثقافة - المدنية، (دراسة السيرة المصطلح ودلالة المفهوم)، الولايات: فرجينا، ١٩٩٤م.

(٥٠) الغامدي، أحمد، الوحدة الإسلامية، الرياض: مؤسسة الجريسي، ١٤١٠هـ.

(٥١) فراج، عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، (د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت).

(٥٢) القاضي، مختار، أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية، (د.ط) القاهرة: مطبعة الأهرام، ١٩٧٢م.

(٥٣) مبروك، محمد إبراهيم، الإسلام والغرب الأمريكي، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٢م.

(٥٤) محمود ، أحمد حمدي، الحضارة، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

(٥٥) مؤنس، حسين، الحضارة، ط٢، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م.

(٥٦) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٩م.

(٥٧) مكاوي، فوزي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، (د.ط) الدار البيضاء: دار الرشاد، ١٩٨٠م.

(٥٨) محمود، عبد الحليم، أوروبا والإسلام، ط٤، القاهرة: دار المعارف (د.ت).

(٥٩) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٢، استانبول: المكتبة الاسلامية، ١٩٧٢م

(٦٠) المولى، سعود، الحوار الإسلامي المسيحي، بيروت: دار المنهل، ١٩٩٦م.

(٦١) نصر الدين، إبراهيم، العولمة وانعكاساتها على دول العالم الثالث، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٩م.

(٦٢) الندوي، محمد إسماعيل، الهند القديمة، (د. ط)، القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٠م.

(٦٣) بن نبي، مالك، شروط النهضة، دمشق: دار الفكر، (د. ت).

(٦٤) هل، يوسف، حضارة الغرب، الدوحة: لجنة المؤتمر العالمي، ١٩١٩م.

(٦٥) الواعي، توفيق، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، (د. ط) المنصورة: دار الوفاء، (د. ت).

(٦٦) البوزبكي، توفيق، تاريخ أهل الذمة في العراق، الرياض: دار العلوم، ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية المترجمة

(٦٧) أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم، القاهرة: مكتبة النهضة ١٩٤٧م.

(٦٨) جولد تسيهر، أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: علي حسن عبد القادر، ط٢ ، مصر: دار الكتاب العربي، (د. ت).

(٦٩) جارودي، روجيه، حوار الحضارات، ترجمة: عادل العوّ، بيروت: منشورات العويدات، ١٩٧٨م.

(٧٠) جورافكسي، اليكسي، الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف محمد حداد، (د. ط.)، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٦م.

(٧١) دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: احسان محمد الحسن، (د.ط)، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٠م.

(٧٢) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج١٣، مصر، الدار الثقافية، د.ت.

(٧٣) الراهب، فوليت، خطوات ومراحل في طريق السلام، ترجمة: عادل خوري، ط٢، بيروت: المكتبة البوليسية، ١٩٩٨م.

(٧٤) طربوش، سوزان، صورة العرب في الغرب، ترجمة، طلال أفندي، مراجعة: عواد علي، (د.ط)، عمان، مطبوعات المعهد الملكي، ١٩٩٩م.

(٧٥) كوول، ف،ر، التاريخ والحضارة، ترجمة: أحمد الشيباني، ط١، جدة: مؤسسة عكاظ، ١٩٩٢م.

(٧٦) كبنغ هافس، نحو مشروع أخلاقي عالمي، ترجمة: جوزيف معلوف واورسولا عساف، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م.

(٧٧) لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، القاهرة: دار إحياء الكتب، ١٩٥٦م.

(٧٨) نيف، جون، الأسس الثقافية للحضارة الصناعية، ترجمة: محمود زايد، (د.ط)، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٢م.

(٧٩) هوبل، آدامون، الإنسان والحضارة والمجتمع، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٨م.

(٩٧) ندوة الإسلام وحوار الحـضارات، مجلة أحوال المعـرفة، السنة: ٧، العدد: ٢٥، ٢٠٠٢م.

الشبكة المعلوماتية (الإنترنت)

WWW.alwatan.com.
WWW.daawaprty.com.
WWW.aloswa/org.
Dacamen and Selings /com.
WWW.Jafaridis.com.
homebirzeil /edu.phil. cslpllplictions.
batring.htm.
WWW.aafag.org.
WWW.albayan.com.
WWW.albayanlo. ae.



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

